هنرجع هيبتنا (للمحامين فقط) محمد عماد المحامى

مجموعة مغلقة · ٣،٧٥٩ عضوًا

عرض المنشور المثبت

اكتب شيئًا...

إسلام إسماعيل

أمس الساعة ١٠:٥٧ م

بعد التحيه
بعد اذن الاساتذه كنت عاوز كتاب المحاماة فن رفيع للدكتور محمد شوكت التوني pdf
و لكم جزيل الشكر

المحاماة

فن رفيع

محمد شوكت التونى

المحامى

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

إهـــداء

❖ إلى اللذين علمونى "ولو حرفا" فى المدرسة وفى الجامعة وماكنت بغير ما علمونى شيئا مذكورا.

❖ وإلى الذين "عنهم" أخذت دروس الحياة وعبر الزمان فزادونى علما وزودونى بزاد التجارب.

❖ وإلى الذين وقعت عليهم إساءاتى قصدا أو بغير قصد وهأنذا أقدم لهم ندمى وأطلب غفرانهم.

❖ وإلى الذين أساءوا إلى عفوا أو بعمد لقد سامحتهم من قلبى وباختيارى.

❖ وإلى رجال القضاء الذين جمعنى بهم نضال فى سبيل الحق.

❖ وإلى المحامين فوجا وراء فوج الذين أحبونى وأحببتهم.

❖ وإلى الذين عملوا معى بمكتبى من محامين وموظفين فأعانونى على مشقة الطريق الطويل.

❖ وإلى الأجيال القادمة راجيا لهم حظا أسعد.

❖ أهدى كتابى هذا هدية على قدر مهديها.

❖ فمن طاب له فإن له الشكر على تحيته الصامته ونجوته الخفية.

❖ ومن برم به ولم يستطبه فليذكر أنه القطعة الكبرى من حياتى ولعلنى ألفته وتعبت فى مراسه لكى أحتفظ لنفسى بذكرى هذه الأعوام الثلاثين.

شوكت التونى

المحامى

افوكاتوك Avocatalk

مقدمـــــــة

بين يدي القارئ طبعة جديدة مـــن كتاب المحاماة فن رفيع للأســتـــاذ القديـــر المرحـــوم / محمد شوكت التوني أحد كبار محامي عصره .

في هذا المؤلف النادر في موضوعه نجد تجارب لمحام كبير عشق المحاماة ومارسها بحب وأمانة وصدق فمنحته اسمًا ذائعاً ومالاً وفيراً ولم يكن هذا هدفه الذي سعي من أجله . ولكنه آمن أن المحاماة فن رفيع كما آمن بأن المحامي عندما يمارس المحاماة فنا يكون قد ظفر ومن اتخذها صناعة أو مهنة فلا يستحق أن يمارسها وكان عليه رحمة الله يري أن المحامي عندما يحب المحاماة ويتعصب لها ويؤمن بها يكون قد أدي واجبه .

وإيمانا مني بأهمية الكتاب فقد سعيت لإعادة نشره بعد استئذان الورثة وقد رحبوا بالفكرة وساعد الأستاذ الدكتور / حسن شوكت التوني مشكورا ويسر إخراج هذا الكتاب ليكون في متناول القراء .

وقد قمت بترتيب الكتاب في هذه الطبعة وقسمته إلي سبعة أبواب مقسمة إلي فصول تيسيراً علي القارئ . والكتاب في مجمله خلاصة تجارب يعرضها الكاتب ليستفيد منها جيله والأجيال القادمة .

أرجو أن أكون قد وفقت في إعادة نشر هذا الكتاب وجزي الله أسرة المؤلف خير جزاء ورحم الله أستاذ الأجيال محمد شوكت التوني .

قمر محمد موسي

المحامي بالنقض

افوكاتوك Avocatalk

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الباب الأول

لماذا كتب هذا الكتاب؟

- إنتباه مفاجئ
- أين الحقيقة؟
- بارقة أمل
- الكفر والإيمان
- العبادة والعمل
- السعادة وأين هى؟
- أداء الواجب
- العدالة ودورنا نحن المحامين

افوكاتوك Avocatalk

لماذا كتبت هذا الكتاب

افوكاتوك Avocatalk

إنتباه مفاجئ

فى يونيه ١٩٥٥ خطر على بالى فجأة وبلا سبب أننى أمضيت فى المحاماة خمسة وعشرين عاما فبدأت أذكر الطريق وتحرك الركب واليوم الأول والليلة الأولى وتتابع الشريط السينمائى يعرض فى مخيلتى ربع قرن وماسمعت ومارأيت ومن قابلت...

وتراكمت الذكريات حتى أصبحت كومة عالية.

وفجأة ولأول مرة سألت نفسى: بعد أن قضيت خمسة وعشرين عاما فى المحاماة وبعد أن قضيت فيها كل يوم من أيام الشباب القوية الجميلة والكهولة العاقلة الناضجة.

وبعد أن مزقت إهاب الليالى الزاهرة من العمر فى مقابلة أصحاب الدعاوى وفى قراءة الملفات وكتابة المذكرات وإعداد الدفاع.

وبعد أن أرقت على ضفاف هذه الليالى نورا من عينى وأسلت صبيبا من قلبى ونثرت مزقا من أوتار أعصابى.

بعد هذا كله.

وبعد أن أصبت من المحاماة إسما ذائعا ومالا ... ماذا صنعت ؟ وماذا أنتجت؟ وماذا أفدت؟ وماذا نال منى المجتمع؟!

ولم أجد جوابا على أسئلتى وبدوت كالتلميذ الأبله الخائب حين يفاجئ بأسئلة مدرسه الصارم ، فعدت أتلفت وطال تلفتى وتشتت تفكيرى وأنا أنثر تلك الأكوام العالية من الذكريات.

وتتابع فى ألوان الطيف – أمام عينى الشاردة النظر – شريط سينمائى من الأشخاص والحوادث.

رجال ونساء وشباب وشيوخ.

متهمون وأبرياء.

أبرياء حكم عليهم ، وقتلة وسارقون وزناة يتسرب من القفص الحديدى بعضهم ويقذف بعضهم فى ظلمات السجن.

مدعون بالباطل ينتصر باطلهم.

أصحاب حقوق مضيعة تعاد إليهم حقوقهم.، شهود صادقون ... يكذبهم القضاء.

وآخرون كاذبون ... يحكم القضاء بشهادتهم.

رجال بوليس عادلون ينسب إليهم الظلم.

وآخرون ظالمون لا يؤاخذون بظلمهم.

قضاة ترتجف الأقلام بين أيديهم وهم يحكمون لأن ضمائرهم مرهفة الحساسية.

وآخرون يصدرون الأحكام وكأنهم يقذفون بنكتة ساخرة.

وكلاء نيابة يحققون على ضوء ذبالة شمعة وهم يحترقون بحثاً عن الحق والعدل.

وآخرون يلذ لهم أن يقوموا بدور الجلاد.

محامون ينصرون الظلم ... وآخرون يموتون فى سبيل إنتصار حق موكليهم.

أسرار .... أسرار دفينة لو أذيعت لغيرت تاريخ أقوام وأجيال.

وأباطيل وأوهام أخذت مكان الحقائق الثابتة ... آمن بها الناس.

صراخ وعويل ... هتاف وزغاريد ... عرفان بالجميل .... ونكران وجحود.

فى هذه الكومة العالية من ركام الحوادث والأشخاص ذكريات ناعسة وأخرى مستيقظة وأشخاص يتوارون وأشخاص يندفعون لكى يبرزوا أمام عينى...

حوادث واضحة الصور أحاول أن أجعلها تبدو باهتة لأننى خجل منها وأخرى مظلمة أجهد أن ابرزها واضحة المعالم مضيئة.

ولكن أين الحق؟

هل هو ماعرفته وأدركته ودافعت عنه؟ أين هو من هذا كله وفى هذا كله؟! وهو الغاية الهادف إليها سعينا وجهادنا؟ أم هو ماخفى عنى أو أنكرته أو حاربته بكل قواى؟

هل هو الذى نقلته إلى القضاء منغوما أو مسطورا؟ أم الذى أغفلته ودفعته بالحجة والبرهان؟

هل هو الذى تلقيته من صاحبى؟ أم هو الذى تلقاه زميلى من صاحبه؟

وأخيرا هل هو الذى حكم به القضاء. أم هو الذى أخفاه القضاء الأكبر؟

لقد خرجت من تلفتى إلى كومة الذكريات البالية ومن وابل الأسئلة العديدة المختلطة والحيرة تعصف بعقلى ووجدانى والسخرية من نفسى فى نفسي وعلى شفتى وفى عينى.

ولم ألبث أن ناجيت نفسى: "ماأضيع إذن ما مضى من العمر وفات!

وما أقل المقبل منه وما أذله إن لحق بسابقه فى الوصف وفى المضمار ... وما أهون مابذلناه وحصلناه ... وما أبخس ما أعطينا أو أخذنا.

أجل ما أهون وما أتفه وما أبخس ما أخذنا وأعطينا .... نحن المحامين.

فإننى واحد يختزل فى وصفى مجموع المحامين تجرى أعمالنا فى فلك واحد. كأننا نسير ، ونعمل ، ونتكلم ثم تنتهى أعمالنا وأقوالنا إلى شياة من أقلام القضاة يجرى بها قضاء الله. وتساءلت ألم يكن حتما أن يجرى قضاء الله على أقلام القضاء حتى ولو لم نقم بما قمنا به ... بل ولو لم يثبت القضاء أو يمحون من أقوالنا وأقوال موكلينا؟

وهل نكون نحن والقضاة – قد خدمنا العدالة فعلا؟

أم أننا جميعاً مخدوعون والله يفعل مايشاء؟

ولكن ماهى العدالة؟ أليس هذا هو السؤال الذى يجب أن نوجهه أولا؟

أهى أن يعدم هذا القاتل؟ ألا يمكن أن تكون العدالة فى أن يقتل الذى قتل؟

أهى أن يبرئ الذى سفك الدماء؟ وهل كان من العدالة أن يفلت؟

وهل هذا السارق الذى سجن هو وحده الذى سرق؟

أليست الدنيا دائما مليئة ، ألسنا كلنا سارقون والحياة فى عالم الطبيعة وفى عالم الحيوان وفى عالم الإنسان تسرب من يد إلى يد وإنتقال من مكان إلى مكان وإغتصاب وخطف وسرقة بإكراه أو بالتحايل الذى يفقد الإرادة حتى يصبح إكراها؟!

وهذا الزانى وتلك الزانية اللذان يحاكمان وقد يسجنان أو يبرءان أهما وحدهما اللذان يزنيان ألسنا كلنا زناة ولو بالنظرة ولو بالفكرة ولو بالتصور ولو بالرغبة؟ أليس العالم مليئا بالزناة منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

فلماذا يقتص منهما القضاء وحدهما ويترك الباقين؟

وإذا كان السارق يشترك مع الناس جميعا فى خلة السرقة والقاتل كأى شخص غير قاتل من بنى الإنسان الذين إذا تهيأ للواحد منهم فرصة القتل وحسب أن القانون لن يطوله فإنه لن يتوانى عن قتل خصمه وما أكثر خصوم كل إنسان!

إذا كان الزناة ككـــل الناس الذين يزنون فعلا أو بالنظرة أو بالفكرة وبالرغبة.

إذا كان الناس جميعا يشتركون فى الخطيئة وفى الجريمة واحد يرتكبها ويفلت.

وواحد يريد أن يرتكبها وواحد يرغب فى إرتكابها وواحد إرتكبها فعلا فلماذا العقاب ولماذا الزجر.

وهل إمتنع الناس يوما عن إرتكاب الجريمة؟

فى عصر الجاهلية – عصور الأنبياء والقديسين – وعصور العلم والنور وعصر الروحانية وعصر المادة فى كل هذه العصور كانت الخطيئة "أرتكبت الجريمة" ولم ينفع عقاب ولم يزجر قصاص!

ألم ترغب الكتب السماوية فى حسن السلوك؟

ألم تتوعد المرتكبين الخاطئين المجرمين بالعذاب والعقاب وجهنم ذات اللهب المستعر؟!

وعرف الناس وآمنوا أنها كتب من عند الله ورسالات من صاحب الخليقة وصاحب الأخرة وصاحب العقاب والإنتقام ومع ذلك سار ركب الناس فى قافلة الزمن الإنسان ومعه الخطيئة والجريمة جنبا إلى جنب!

إذن فهذا عبث ماصنعنا ومانصنع فلا عدالة خدمنا ولا غيرنا يستخدم العدالة وستظل العدالة دائما لغزا وستظل الجريمة دائما قائمة وسيظل العقاب ضربة فد تستقر على من لا يستحقها وقد يفلت من يستحقها وهى فى الحالتين لن تصلح مفسدا ولن ترجع غاويا.

Avocatalk افوكاتوك

وإذن فهذا مجهود ضائع الذى قضيت فيه ربع قرن من الزمان لم يثمر للمجموع خدمة ولكنه أفادنى إذ كنت كعداد التاكسى مشوار يساوى ستة قروش ومشوار يساوى عشرين وثالث يساوى جنيها أو جنيهات وقد حصلت على المال فاكتسيت وطعمت وتلذذت وبنيت ونلت به من أمانى فى الحياة ما طابت به نفسى وقرت به عينى!

ولكن ... هل هذا ما طمعت فيه فى أول الرحلة؟

هل هذا هو الخيال الذى سرت إليه وقد حددت الهدف ورسمت الطريق؟

هل هذه هى الثمرة التى أملت فى إجتنائها يوم جلست وراء مكتبى الذى أشتريته بأربعة جنيهات ووضعته فى الشقة الأولى من عمارة عباس الأسكندرانى فى شارع حسن الأكبر التى أجرتها بأربعة جنيهات وأنفقت على تأثيثها أربعين جنيها ... ثم نظرت من النافذة إلى القاهرة وتحديت فى نظرتى مليونا ونصف من سكان القاهرة وقتئذ إذ كنت وحيدا ليس لى فى هذا البلد الكبير عم ولا خال ولا أهل ولا صهر ولا نسب ومع ذلك ناديت هذا المليون ونصف من عباد الله إلى مكتبى ليفيدوا من علمى وفنى.

فلما برئ من جميع هذه التهم كان قد أستكمل معاشه ومات بعد أسبوع من إستكماله المعاش ، ومات ضاحك سعيد يدعو لى بالخير والتوفيق .. وعاش بعده أولاده هانئون ينظرون إلى حين يزورونني _ وقد كبروا _ كأننى المنقذ.

السعـــادة ... وأيـــن هـــى؟

تتابعت الصور ، بالمئات بل الآلاف وخرجت من هذه الصور ، صور الناس الذين أسعدتهم ، واللذين لم أستطع أن أسعدهم لأن قضاء الله كان أغلب ، وأقوى ، ولكننى كنت راضياً عما قدمت لهم من ذات عقلى ، ونفسى ، وقلبى ووجدانى.

خرجت من هذه الصور بأمر كان له أعظم الأهمية فى حياتى : أننى أسعدت الكثيرين من الناس.

Avocatalk افوكاتوك

وأننى أديت واجبى حسب ضميرى فى كل ما قمت به من عمل.

وكانت هذه النتيجة كافية لتقرر لى مبدأ هو أعظم وأسمى فلسفة خرجت بها فى حياتى.

تلك هى أن السعادة ليست فى كثرة المال فعندما أصبح لى مال أصبحت شقيا بحفظه وحل مشاكله.

وليست هى فى المجد والشهرة والحياة فإن متاعب المجد والشهرة والجاه من الكثرة والقوة بحيث تقلب نوم الإنسان أرقاً وإبتسامة وعبوساً ، ولذاته شقاء وتخلق العداوة والأعداء ، والحسد والحاسدين ، والحقد والحاقدين ، وتظلله بغمامة سوداء من كراهية الناس ، من يعرفه ، ومن لا يعرفه.

أداء الـــواجب ... وإسعـــاد الآخرين

يزينهما إيمان بالله وإيمان بالإنسانية ، وإيمان بالوطن ، وإيمان بالمجتمع ، وإيمان بالأسرة ، وإيمان بالأخلاق والمثل العليا.

لقد أليت على نفسى عندئذ أن أؤمن برسالتى وأن أسير على مبادئ الأخلاق التى تعارف عليها الناس فلا كذب ولا غش ولا خداع ولا خيانة للأمانة فى أموال الناس ثم سرت خمسة وعشرين عاما لا أظن أننى خالفت مبدأ من هذه المبادئ بل اخذت نفسى بالشدة والعنف وكنت أكون فى حاجة بعنف إلى نصف جنيه فأعف عن عشرات الجنيهات وطرقت أبواب النجاح بعنف وفتحتها وحدى ومشيت فى طريق الشوك وقاسيته وذقت المرارة والألم والحرمان والأذى.

ثم هأنذا بعد خمسة وعشرين عاما أجد نفسى بعد صون المبادئ وبعد عذاب الجهاد عبارة عن تاكسى يسير مشوارا بمبلغ معين وهو فى هذا المشوار يضرب النفير ويدوس على البنزين ويسرع تارة أخرى ويقف حينا ويمرق من سيارات أخرى أحيانا وقد يدهس راجلا وقد يتفادى آخر.

هأنذا بعد خمس وعشرين سنة أجدنى قد أخطأت وزللت وأرتكبت مضطرا حينا وضالا عن الحق أحيانا.

كل هذا بمبلغ ثابت أناله عند آخر المشوار والفرق بينى وبين التاكسى أنه لابد أن ينال أجره آخر المشوار وإلا فالعراك والضرب وربما قسم البوليس أما أنا أغلب الأحيان قد لا أنال الأجر ولا الحمد ولا الشكر وإنما قد أنال نكران الجميل وجحود المجهود وربما شيئا قليلا أو كثيرا من الشتم وشائعات السوء وربما أيضا إلقاء التهم والشكايات.

إذا فما أضيع العمر وماأشد غباوتى طوال هذا العهد الطويل إذ لم أنته إلى هذه الحقيقة المؤلمة...!!

ولو كان فى الإمكان الرجوع للقهقرى لهان الخطب.

ولو كان فى الإمكان تعديل الحال لخفت المصيبة.

ولكنه زمن إنقضى ..ولا يعود.

وحال طواها الماضى والماضى لا يرد وديعة يأله من خائن ظالم!!

لقد تأرقت ليالى أنثر ذكرياتى عن هذه السنين وتألمت حين تصورت ماضى على هذه الصورة اللعينة وقمت الليل بين سيجارة تشتعل وتنطفى وهى لا تطفئ لوعتى وحزنى على عمرى الضائع وبين سبر جنح الليل المظلم البارد بين أشجار كالظلال الثقيلة وبين وحشة تكاد تحطم كل حياة فى كيانى الثائر حتى كان صباح قمته متثاقلا وصممت على أن أكف قدمى عن السير إلى المحكمة حتى أفصل فى قضيتى التى نشأت من تفكيرى فى مرور خمسة وعشرين عاما على إشتغالى بالمحاماة وتأخرت عن موعدى فى المحكمة وأخذت طريقى فى شوارع القاهرة سربا وسرت فى طرقات المدينة التى جئتها طالبا من أواسط الصعيد فقيرا حينا ومكفوف الحاجة حينا وثريا ملئ الجيب حينا أخر فاوتنى وأسعدتنى بالعيش والحب واللذة الروحية والجسدية وأصبحت هى جزءا هاما من حياتى لأنها وعاء الزمن الذى عشته صبيا وشابا وأصبحت أنا جزءا منها فما المدينة إلا معالمها وسكانها.

سرت فى طرقاتها التى ألفت وأحببت السير فيها منذ أن كانت سوارس والعربات "الكوبيل" "والبيزابيه" "وزينب هانم" إلى الكاديلاك والكريزلر النفاثة. هذه الطرقات التى كنت أحن إليها شوقا إليها وأنا أسير فى شوارع لندن وباريس وفيينا وبرلين وروما وجنيف وأقول أين تراب مصر أين ذباب مصر؟

حتى هذين أشتقت إليهما... كم أصبحت اليوم أبغضها... ولم لا؟ ألم أشهد فيها صراع ربع قرن من الزمن ضاع سدى وأهدر عبثا وذهب نبيح كفاح ضائع ومال بغيض.

لقد خدعتنى هذه المدينة حين أوتنى وحين أعطتنى النجاح وكنت أحسب أننى أنتصرت عليها، أنا الوحيد الذى تحديتها فإذا الحقيقة أنها هى التى خدعتنى وصورت لى النجاح وقبلت تحدى.. وهاهى ذى تقذف بى فى طرقاتها يائسا. ضائعا. باكيا. شبابا لن يعود وكفاحا لن يعوض!!

.... ووصلت إلى مكتبى الذى عشت فيه كالعش الجميل أحبه حب الطائر لعشه ومهده وحين أتركه لمرض أغالب المرض لكى أعود إليه وحين أبعد عنه لسفر أو نزهة أختصر اللذات لكى أرجع إليه وإلى شقائى وتعبى فيه فأجد اللذة والراحة ولكننى رأيته اليوم بغيضا ونفرت منه وأستعذت بالله من موقعه وشكله.

وجلست إلى المكتب مهد أفكارى ومسرح خيالى أقلب أوراق الدعاوى وملفات القضايا وكأنما تنساب من بين سطورها ثعابين رقطاء زرق النياب تنهش فى قلبى ووجدانى.

افوكاتوك Avocatalk

وجاءنى الساعى ينبئنى بأن سيدة تريد مقابلتى فلحقتها فى أعماق لعنتى للزمان والمكان ولعنت كل السيدات ولم ألتفت إلى إسمها وكان طبيعياً أن أعتذر عن مقابلتها ولكن يظهر أن سخطى المكتوم وإحاطة الألم بنفسى جعلانى أحيا لحظاتى داخليا فلم أنبس بالرفض فأدخلها الساعى فإذا سيدة مكتملة الفتوة والأنوثة تدخل على مشرقة الوجه بالأمل والإنشراح وفى يديها طفلان بنت صغيرة حلوة وولد يلمع الذكاء فى عينيه ويفيض الإثنان بالصحة والسرور وأنا أب أضعف من منظر الأطفال فنسيت فورا آلامى وضياع عمرى وتقبلت السيدة وطفليها بقبول وبشاشة هى جزء من طبعى وما أن إستقرت السيدة فى مكانها حتى إبتدأت تحيينى وتفتن فى الدعوات الصالحة لى وتعبر عن شكرها وأمتنانها لله ولى إذ هيأت لها حياة صالحة وزوجية موفقة وبيتا فيه الزوج المحب والأطفال الأعزاء والعيشة الهنية وأنا لا أذكرأننى لقيتها من قبل حتى كدت أكذب عينى وسمعى وشيئا فشيئا ذكرت إسمها وإسم أبيها ونتفا من موضوعها فعادت إلى ذاكرتى وعادت بى هذه الذاكرة عشر سنوات إلى الوراء حين كنت فى بيتى فكلمنى أحد عملائى وكان طبيبا حديثا وكان ذا مال ومن بيت ذى جاه وقد تزوج فتاة حلوة من بيت طيب ولم تمض أشهر على هذا الزواج حتى عرض له سفر طارئ فرحل إلى غيبة أيام ولكنه عاد فى نفس اليوم وفيما هو يمر بسيارته على باب إحدى دور السينما إذ أبصر بزوجته وبجانبها شاب ضابط كان خطيبا لها فى يوم من الأيام قبل زواجها وهما خارجان من السينما يتحدثان فإخذته النخوة وثارت فى عروقه الغيرة وفاضت ثورته فنادى العسكرى وقبض عليهما أخذا إلى قسم البوليس وهناك طلبنى لأحضر تحقيق محضر الزنا وأسرعت فقد وجدت أنه فى ضيق نفسى مابعده ضيق ودخلت قسم البوليس وكان المأمور صديقا فلما علم بحضورى أستأنى وتمهل فى ضبط الواقعة وسمعت قصة الزوج وقصة الزوجة التى أقسمت والصدق فى نبراتها والبراءة فى دموع عينيها أنها لم تر خطيبها السابق إلا لحظة أن فاجأها زوجها وكان عليها أن ترد تحيته فهو خطيبها السابق ومن ذوى قرباها والزوج مصمم على تحرير المحضر وإتهامها وخطيبها بالزنا.

وكان "عملى" الروتينى أن أطلب تحرير المحضر وإستمرار الإجراءات.

ولكن "ضميرى" وهو جزء من إنسانيتى أملى على أن أنهى الأمر على خلاف ما أمل الزوج الثائر فاستأذنت من المأمور وأخذت موكلى الطبيب الثائر وخرجت به إلى الطريق إلى المكان العجيب الذى لا يقف فيه أحد فإما راحل أو عائد هذا يأخذ طريقه سريعا إلى قلب المدينة وذاك يدبر عن المدينة إلى خارجها إلى ميدان محطة مصر حيث يتدفق آلاف من القاهرة وينصب فيها آلاف. وتنفس الطبيب نفسا عميقا وظن انني أريد "مقاولته" فأخرج محفظته وأغتصب منها جنيهات بيد مرتعشة وقال :"إن شئت زدت وإنما خلصنى من هذه المصيبة"

فرددت ماله إلى حافظته ووضعتها فى جيبه وسألته فى هدوء : "أى مصيبة؟"

مصيبة المرأة الفاجرة!

أى إمرأة فاجرة؟ وكيف تظن أنها خائنتك؟ ألا يجوز أنها صادقة؟ أليس من المحتمل أن تكون رأته صدفة؟ أليس جائزاً أنها أرادت أن ترد له خطابات أو تتسلم منه خطابات كانا قد تبادلاها فى أيام الخطبة؟

ألا يجوز أنه هددها أن تقابله وقد تكون أنت أداة التهديد....

لماذا لا تكون صديقا رقيقا ككل صديق فتقف بجوار زوجتك فى هذه المصيبة التى وقعت هى فيها وتحاول أن تعرف مايسبقها من الأمر.

لماذا تحاول أن تحطمها وتثبت جريمة مشكوكا فيها فى أوراق يفنى الزمن وهى باقية وصمة عار فى جبينها وجبين والديها وأهلها وعائلتها وأولادها وأحفادها من بعد... هل سبق أن شكوت من سلوكها؟

لا.... وهدأت أعصابه قليلا.

أنا أفهم أن تضبطها فى بيتك أو فى بيت يخلوان فيه لبعضهما فيكون اليقين من خيانتها فتسرحها غير آسف عليها أو تقتلها بالرصاص إن شئت ويعفيك القانون أما أن تقتلها أدبيا لشك لم يؤيد فهذا ظلم يا أخى أنا محاميك ومراعاة مصلحتك هى عملى

ومع ذلك فأنا ناصح لك أن تاخذ زوجتك الآن إلى المنزل فإن أتضح لك صدقها أستغفرت ربك وإن ظهر لك سوء سلوكها فسرحها فى سكون ولك جزاء الإحسان.

وظهر أنه أقتنع فإن الحديث إنساب إليه من موضع أمانته والناصح له فى مصيبته هو محاميه فنزل من نفسه موضع الإقتناع.

وعاد معى إلى القسم وتنازل عن شكواه دون أن تثبت فى محضر وأخذ زوجته وعدت معها إلى المنزل وقضينا ساعة من الزمن خلا فيها بزوجته وإذا به يخرج من خلوتهما إلى التليفون ليحدث الضابط "المتهم" ويشكره ويدعوه إلى المنزل فقد أتضح له أن هذا الضابط قد اكتشف أن أخت الطبيب مخدوعه فى زميل له سافل الخلق دنئ الطباع خسيس الأهل وأنه قد وعدها بالزواج فراسلته فأخذ يقرأ خطاباتها على زملائه وهو سكران ويفاخر بخداعها فثار عليه زميله الضابط المتهم اليوم وأخذ خطابات الفتاة منه وطلب زوجة الطبيب ليسلمها الخطابات ويرجوها أن تكشف كامرأة لأخت زوجها عن حقيقة خطيبها وأعطاها صورا لهذا الخطيب الفاجر مع عاهرات وكتم الإثنان الحقيقة حتى كادا يذهبان ضحية الكتمان إلى أن ألح عليها فكشف الحقيقة فبكى وإستدعى الضابط وعانقه وهو يبكى ولم يخرج الضابط إلا وهو خطيب لأخت الطبيب.

إذن فقد أسعدت قوماً من عباد الله!

وكان فنى كفن الموسيقار الذى يسعد الناس بألحانه وكنت كالشاعر الذى يسعد بعض الناس فى بعض الأحيان بمزاميره وسحر بيانه.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

بـــارقـــة أمـــل

فرحت بزيارة الزوجة السعيدة وكانت فرحتى صدمة سعيدة زعزعت الكفر الذى أستبد بقلبى وخواطرى ، الكفر بالمحاماة بإعتبارها صنعة يكتسب منها الإنسان رزقا ولا يفيد المجتمع منها شيئا.

وقد كان يؤلمنى أن أعيش فى مجتمع إنسانى وينقضى أغلب العمر ، أجمل العمر ، أقوى أيام العمر ولا أكون قد أفدت الإنسانية فائدة أسعد بها ويسعد الناس بها.

ولكن زيارة هذه الزوجة السعيدة أسلمتنى إلى لذة جميلة حاولت أن أستحلى كنهها وأدرك حقيقتها فجلست إلى نافذة ذكرياتى وأخذت أتطلع إلى طريق الذكريات تماما كما يجلس المكروب أو المحبوس يتطلع إلى الطريق ويتسلى بمرأى الغادين والرائحين ويفكر فى كل واحد من هؤلاء المجهولين منه ، وتذكرت يوم كنت محبوسا فى سجن الأجانب – لجريمة سياسية طبعا – وأخذت مكانى فى نافذة السجن المطلة على مفارق طرق شارع عماد الدين وشارع رمسيس (الملكة نازلى عندئذ) وأخذت أتحدث بالمناجاة وباللسان مع كل سائر على قدميه أو راكب سيارة أو عربة حنطور أو عربة كارو أو عربة نقل وكل ركاب المترو كنت أتجاوب مع كل واحد وواحدة منهم أتحدث إلى المكروب وإلى الفرحان إلى المدين البائس وإلى الغنى السعيد إلى العاشق وإلى المحموم إلى المريض الداخل إلى "عيادة" الأمل وإليه وهو خارج يترنح بين اليأس والرجاء وإلى الذى يفكر فى الجريمة وإلى الذى إرتكبها إلى القاتل الذى وثب إلى غريمه سريعا خفيفا وإليه وهو عائد يهرب من طيف ضحيته ويداه تقطران من دمائه.

فى هذا العالم المعقد المترنح كالسكران بين الهدى والضلال عشت أياما طوالا وأنا أحدث هؤلاء وأجبرهم على أن يتحدثوا معى وأنصحهم فلا ينتصحون. تماما مثل ما فعلت مع هذا الطريق ، وعالمه ، وناسه ، ومجتمعه وأطللت من نافذة الذكريات وأحضرت الذين عشت معهم هذه الفترة الطويلة من العمر وأخذت أناجيهم وأحاورهم

وأتحدث معهم وأجبرهم على أن يتحدثوا معى هنا برقت لى بارقة أمل وإيمان وأدركت وأنا أنشر مافى مضاجع ذكرياتى أن هناك آراء ومبادئ وأفكار تقوم من مضاجعها مع القائمين من الناس الذين ناصرتهم وأنقذت وأقلت عثراتهم.

وكانت هذه الآراء والأفكار حية قوية أشد حياة من الناس وأقوى بنيانا من الآدميين ولقد كانت الآراء والمبادئ والأفكار دائما أشد حياة وأقوى لأن الإنسان فان بطبعه وخلقته أما هذه الآراء فخالدة لأنها قبس من "نور الله"

الكفـــر والإيمـــــان

أدركت أول ما أدركت أن الكفر بالشئ هو أول مرتبة من مراتب الإيمان به ولقد حضرتنى قصة قرأتها فى شبابى إذ وقف أعرابى وإبنته الصبية فى الطريق وإذا بجماعة يحملون رجلا شيخا ضعيفا على محفة فسألت الصبية أباها.

"من هذا الذى يحمله الناس يا أبى ويقف له من بالطريق"؟

فأجابها أبوها : "هذا يا أبنتى الفخر الرازى!

"ومن الفخر الرازى يا أبتى؟

"أنه يا إبنتى الذى أقام ألف دليل على وجود الله ...

فاجابت الصبية فور البديهة :"قاتله الله .. لقد قام فى نفسه ألف شك فى وجود الله"

وتأسيت عن كفرى بالمحاماة وبالعدالة فلولا هذا الكفر الذى إستبد بعقلى وقلبى وخواطرى ماتقصيت أسباب إيمانى بهما وما سلكت الطريق إلى هذا الإيمان.

وإنه ليتأسى بهذا كل كافر بشئ فإن أنت كفرت ببلادك ونقائصها فلا تحزن فإنك لا شك باحث عن علاج لهذا النقص وقد تصل إلى الدواء وقد تكون هاديا ومصلحا.

وإن أنت كفرت بالشباب ، بالمثل العليا ، بالتضحية ، بالروحانيات فلا تبتئس فانت فى منعرج الطريق وأنت لا شك آخذ سمتك إلى الإيمان بها.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

العبـــادة والعمـــــل

وجاءنى بعد ذلك الرأى الذى يقول لى ويخاطبنى وكأنه ينهرنى : "ألست تعمل؟ أليس من العمل ما هو خير ومنه ماهو شر؟!

"أليس العمل هو "التروس" التى تسير بها عجلة الإنسانية ...

أليس العمل هو الذى أراده الله – القوة العظيمة الخفية الخالقة المدبرة – لكى يتكون به المجتمع ويسير نحو رقى مضطرد...

أليس هو الذى عناه الله سبحانه وتعالى حين قال : "وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"

والعبادة كما يراها المفسرون النابهون هى العمل إذ أن العمل هو أساس عمران الكون وسر سيره وتقدمه. وأما نتائج العمل فليس لك يد فيها فإن عملك مترتب على عمل غيرك ونتائجه مدبرة بيد المدبر الأكبر ويكفيك أن تعمل وأنت تعتقد أنك تعمل عملا صالحا وتؤدى واجبا.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ ﷺ

سيراها إن كانت شرا أم خيرا أردتها أنت شرا أم خيرا أما نتائجها فلست محاسبا عليها.

يكفى أنك وأنت تريد صلاحا وإصلاحا وخيرا ..**﴿إنما الأعمال بالنيات ولكل إمرئ مانوى﴾** ﷺ

إرتحت إلى هذا الخاطر وآمنت به ثم عدت إلى الناس فرأيت صورا : صورة هذا الشاب الذى تآمرت عليه عائلته إذ ورث مئات الأطيان ووقف عليه أبوه مئات الأطيان وكان قاصرا فلما بلغ أشده وضعوه تحت قوامه أخته التى زوجته ممن تآمر بأمرها وأخذت هى وزوجته وأقاربه يلتهمون ثروته إلتهاما...وجاءنى وزوجة جديدة

كانت تعمل ممثلة ناشئة فى إحدى الملاهى وقد إستنكر أهله زواجه منها ... وركب رؤوسهم العار منها ولم يركب هذه الرؤوس عار سرقته ونهبه وأكل ماله بالإثم.

جاءنى الزوجان وليس معهما أجرة العربة التى أقلتهما إلى مكتبى فدفعتها لهما وظللت أكافح معهما السارقين ومن يناصرهم من أصحاب النفوذ خمس سنين حتى رددت إليه ماله وعينت الممثلة الناشئة التى إستعرت منها العائلة حارسة وناظرة وقيمة فأحسنت عملها وزارانى أخيرا فإذا لهما البنت المتزوجة والبنت المتعلمة والإبن الطالب فى الحقوق ... وهم سعداء. ورأيت صورة الفتاة التى كانت كلما كربها كرب قدمت إلى لأقضى على كروبها وأفتح لها باب الأمل فقد كانت جميلة جمالا فائقا وكلما تزوجت ساء حظها إلى أن تزوجت شابا متعلما تعليما عاليا ويمارس صناعة راقية ، ولكنه سكير إلى حد أسلمه الإدمان فيه إلى الإباحية فهو يجمع فى منزله شبانا ومعهم زوجاتهم وأخواتهم وصديقاتهم ويتبادلونهم وإذا هو يريدها أن تفعل مثل مايفعلن وكانت عفة ، طاهرة ،، تريد حياة شريفة فلما أنكرت مسلكه ضربها وحبسها وظلت حبيسة معذبة حتى إستطاعت أن تبعث إلى برسالة مع صبية ذكية هى أبنة البواب وكان الشاب الراقى من قرباه ذوو نفوذ فأقمت الدنيا وأقعدتها وأستعديت أعلى الجهات وقمت ومعى وكيل النائب العام وأحد كبار رجال البوليس وكان من أقارب الشاب رجل من أكبر رجال البوليس عندئذ وأخرجنا الضحية وهى فى حالة يرثى لها من الضعف والعذاب وأكتفينا بتطليقها ثم تزوجت من بعد رجلا كريما لا يعرف شيئا عما وقع لها ، ولها منه اليوم بنون وبنات وهى تسأل عنى بين حين وآخر وإن كان سؤالا مختصرا فى التليفون إلا أنه صوت جميل من عرفان الجميل.

وصورة الرجل الكريم الفاضل العف النزيه الذى كان قد أشرف على الإحالة على المعاش بعد خدمة سنوات طويلة فى الحكومة ، فإذا به يبتلى برئيس إنجليزى كبير يتهمه بالسرقة والإختلاس والتبديد والتزوير – ٢٧ تهمة جناية! وتنعقد لجنة تحقيق يرأسها رئيس نيابة كبير ، وتظل هذه اللجنة – مسايرة للرجل الإنجليزى الكبير – تضع الحبل حول عنق هذا الرجل الفاضل النزيه العف عاما ونصف عام ، ثم تشكل محكمة عسكرية عليا لمحاكمته وأترك كل عملى وأظل ماثلا أمام المحكمة سنة كاملة ترافعت فيها ٢٥ يوما وكتبت فيها مذكرات عدد صفحاتها ألف ومائتى صحيفة!

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

فلما برئ من جميع هذه التهم كان قد أستكمل معاشه ومات بعد أسبوع من إستكماله المعاش ، ومات ضاحك سعيد يدعو لى بالخير والتوفيق .. وعاش بعده أولاده هانئون ينظرون إلى حين يزورونني _ وقد كبروا _ كأننى المنقذ.

السعـــادة ... وأيـــن هـــى؟

تتابعت الصور ، بالمئات بل الآلاف وخرجت من هذه الصور ، صور الناس الذين أسعدتهم ، واللذين لم أستطع أن أسعدهم لأن قضاء الله كان أغلب ، وأقوى ، ولكننى كنت راضياً عما قدمت لهم من ذات عقلى ، ونفسى ، وقلبى ووجدانى.

خرجت من هذه الصور بأمر كان له أعظم الأهمية فى حياتى : أننى أسعدت الكثيرين من الناس.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

وأننى أديت واجبى حسب ضميرى فى كل ما قمت به من عمل.

وكانت هذه النتيجة كافية لتقرر لى مبدأ هو أعظم وأسمى فلسفة خرجت بها فى حياتى.

تلك هى أن السعادة ليست فى كثرة المال فعندما أصبح لى مال أصبحت شقيا بحفظه وحل مشاكله.

وليست هى فى المجد والشهرة والحياة فإن متاعب المجد والشهرة والجاه من الكثرة والقوة بحيث تقلب نوم الإنسان أرقاً وإبتسامة وعبوساً ، ولذاته شقاء وتخلق العداوة والأعداء ، والحسد والحاسدين ، والحقد والحاقدين ، وتظلله بغمامة سوداء من كراهية الناس ، من يعرفه ، ومن لا يعرفه.

أداء الـــواجب ... وإسعـــاد الآخرين

يزينهما ايمان بالله وايمان بالإنسانية ، وايمان بالوطن ، وايمان بالمجتمع ، وايمان بالأسرة ، وايمان بالأخلاق والمثل العليا.

ولقد تذكرت وأنا أطرح المال والجاه والشهرة والمجد من "كشف" أسباب السعادة ، وأحل مكانها عاملين روحين قد لا يكون لهما إعتبار ما عند أكثر الناس وخاصة فى عصر المادة وحيث أصيب أكثر الناس بسعار المال والجاه والشهرة والمجد.

تذكرت حديثا قرأته أو سمعته عن محمد النبى الأمى ، قال صلى الله عليه وسلم أو كما قال : ﴿**من جعل الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ولن يصيبه منها إلا ما كتب الله له .. ومن جعل الآخرة همه ، جمع الله عليه أمره ، وجعل غناه فى قلبه ، وآتته الدنيا وهى صاغرة**﴾ ﷺ

لقد تبدد أكثر كفرى بالمحاماة ونسخ أغلب حزنى على الفترة الطويلة التى أمضيتها فيها ..

ولكن بقيت أمور لم تحل!

العدالة ودورنا نحن المحامين فيها

أما المحامى الذى يعرف القاتل والسارق والزانى والآثم ويقول إنهم أبرياء والذى يعرف أن صاحبه مبطل كافر ويقول إنه صاحب حق ، فهذا لا شأن لنا به الآن وإنما شأننا معه فى فصول هذا الكتاب.

إنما أقصد المحامى الذى يؤدى واجبه بأمانة.

مادوره فى ميزان العدالة إعتدالا أو بخسا ، ترجيحا أو تفويتا أو قلبا؟ أو بمعنى آخر أو فى سؤال آخر هل يستطيع المحامى دائما أن ينجى البرئ ويرد الحق ويعين على الأخذ بناصية الآثم ويكف يد الظالم عن مال المظلومين نعم ، ولا ، أما نعم فجزئيا إذ أن المحامى الفنان المبدع الذكى بما يقول المتمكن من علمه المسيطر على تفكيره وتعبيره والذى تزينه المواهب والأخلاق التى سنبينها فى هذا الكتاب هذا المحامى قد يفلح كثيرا فى إنارة الطريق بمشعل فنه للقاضى الذى يقضى ويحكم.

ولكن يتفرع من هنا أمر لابد من بحثه ...

هل نجاح المحامى فى مهنته وبلوغه القصد فى قضيته هو تحقيق للعدالة؟

إنه مؤمن بعدالة مايدافع عنه!

ولكن أليس يحكم بظاهر الأمر؟

ألا يجوز أن يكون مخدوعا؟

ألا يحتمل أن يكون قد وضحت له أمور وأستتر عنه الأهم من تلك الأمور؟أجل ذلك جائز ومحتمل لأن المحامى الحق الذى يؤمن بعدالة مايترافع عنه لا يستمد معرفته من الغيب المستور ولكن من المقروء والمنظور ومن المنقول والمعقول... ولكن هناك فى عالم الغيب تخفى حقائق عن الأبصار والبصائر لا يعلمها إلا علام الغيوب وهو يقضى – سبحانه – بما يراه عدلا لا مانراه نحن عدلا.

ومن آياته سبحانه وتعالى ما جاء بسورة الكهف من قصة موسى والعبد الصالح إذ أراد الله أن يضرب للناس مثلاً يوضح سر أحداث الحياة الدنيا ويبين للخلق : أن للأحداث وجهان وحكمتان وجه ظاهر وحكمة ظاهرة وأخريان خفيان.

فضرب مثل السفينة موسى والعبد الصالح بغير أجر وتفضل أصحابها عليهما بنقلهما عبر بحر لجى لا سبيل إلى خوضه أو عبوره إلا على جاريه فإذا العبد يرتكب "جريمة" إتلاف السفينة ويحكم موسى بانه عمل نكره وأنه جريمة ويضيق العبد الصالح ويهدد موسى ويسيران فإذا العبد الصالح يرى صبيا جميلا تهفو العين إلى مرآه وتحنو على تطلعه وإشراق ميحاه فلا يداعبه أو يلاعبه أو يهديه شيئا جميلا ولكنه يمسكه ويذبحه ويرتكب أشنع جريمة هى "جريمة القتل العمد" بغير حق وضحيته بريئة لم يقترف ذنبا ولم "ترتكب إثما ويصيح الإنسان من أعماق موسى النبى "أقتلت نفسا بغير نفس".

ويحكم على العبد الصالح بأنه قاتل وقاتل من الطراز الأول ولا سبيل إلى أخذه حتى بالرأفة!

ويضيق العبد الصالح مرة أخرى بموسى النبى الذى خفى عليه علم الغيب

وحكمته ولكنه تحت تهديده بالفراق يعاهده أن يسكت وإذا هما بعد حين فى قرية بخل عليهما أهلها وضنوا بإيوائهما أو إطعامهما وقد أخذ الجوع منهما مأخذ القتل وبلغ الظما بهما حد الهلاك فإذا بهذا الجحود يقابله العبد الصالح بعمل صالح إذ يرى جدارا يكاد أن ينقض فيهدمه ثم يعيد بنائه غير ملتمس أجرا.

ويضيق موسى النبى ويفضل أن يتلقى التفسير ثم ينطلق مفارقا صاحبه... وكشف العبد الصالح عن الحقيقة الخفية والحكمة الإلهية المستترة التى لا يدركها البشر

﴿فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما أما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهماوكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ ﷺ

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

إذن فالحكمة الخفية ليست هى التى تنتهى إليها نظرتنا إلى الأمور ولا يثمرها تفكيرنا فيها ولا التى يتفاعل بها وجداننا..

فقد نعتقد أن هذا الشاب الذى أتهم بقتل المرأة التى كان يحبها والتى كان قد خطبها ولم يتبق إلا أيام لكى يتزوجها قاتل ... ولكنه لم يكن له مصلحة فى قتلها ولم تمتنع عليه ولا رفضت مطلبه ولا كرهته ولا شاع عنها سوء...

ولكن لم يظهر بطل للجريمة غيره كان عندها ورؤى خارجا من مسكنها وأكتشفت جثتها بعد قليل من تركه إياها، لقد قضى ببراءته.

فهل قتلت لأن قتلها يحسم شرا عنها أو عنه أو عن آخرين؟

وهل قتلها هو ... بسبب قد يكون شعوره بعد تورطه معها بعجزه كرجل والرجل إذا أحس بعجزه الجنسى أقترب من الجريمة بسرعة وبعمى وجنون ... مالحق فى كل هذا الأمر؟

إن الظاهر الذى يدافع عنه المحامى ... إنه برئ.

ولكنه – كما علمت بعد ذلك – لم يكن بريئا.

أما فلسفة العدالة قد تسلمنا إلى تيه لا هدى لنا فيه وإلى ضلال لا منقذ لنا منه إلا بالتجائنا إلى حكمة الله البالغة تلك التى أوضحها بين موسى والعبد الصالح وحسب المحامى أن يدافع عن يقين يؤمن به ، وحسب القاضى أن يحكم بما يقرأه فى الأوراق ويسمعه فى التحقيق والمرافعة ويمتلئ به يقينه.

أما العدل فهو عند الله فى سمائه لا نستطيع الوصول إليه بعقولنا القاصرة عن فهم الأسرار العليا ولا ببصائرنا عن النظر إلى غيوم الغيب وخفاياه.

أما أن المحامى لا ينجح فى تحقيق العدالة فى قضية ما رغم مواهبه وما أوتى من طبع وسجية ومران فيرجع إلى أن المرجع فى النتائج إلى القضاة وفهمهم وإختلافهم فى مراتب الذكاء والعقول وإلى تباين أعصابهم ووجدانهم وإنفعالهم وشعورهم فقد يكون الأمر واضحاً لدى أحدهم غامض عند آخرين مما سنفصله فى كتابنا هذا.

وننتهى من هذا إلى أن المحامى عليه فقط أن يؤمن بالقضية التى يدافع عنها وأن يؤدى واجبه.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

وليس له أن ينفعل بالنتائج لأن الحق وديعة عزيزة عند صاحب الحق الأعلى ولأن النتائج ليست من ثماره وحده ولكن يشاركه فيها الذى يقضى فى الحق.

إذن فقد إنحلت مشكلتى إذ إنتهيت إلى أن المحامى يسعد بعدد من يسعدهم وكذلك بأداء واجبه كاملا.

وحسبه رضا: تحقيق هذين الأمرين.

وعندما إنتهيت إلى هذا الحل للمشكلة التى كربتنى وأحزنتنى وبعثت الحسرة فى نفسى على السنين الطويلة التى قضيتها لم أترك الفرصة لهذا الحل الأليم تتبخر كالدخان فى الهواء بل تلمست منهما منفذا إلى إفادة الجموع بأن أكتب كتاباً لم يكتبه

أحد قبلى هو هذا الكتاب فإن الذين كتبوا وأحسنوا وأجادوا بما لا أصل إليه بقصور باعى فما أنا شئ بالنسبة لهنرى روبير مثلا إنما كتبوا دراسات أما أنا فأسطر إنفعالات وأحاسيس وذكريات ودراسات نفسية لم أقرأها فقط ولكننى حصلتها أيضا وأنا فى مكتبى فى الجلسة وفى كل خطوة بين ردهات المحاكم.

وعاوننى على ذلك أمران : طبيعة ناقدة فاحصة وذاكرة لا تنسى أما طبيعتى الناقدة الفاحصة فهى علة من عللى الكثيرة وعيب من عيوبى الوفيرة فقد صغرى إذا رأيت إنسانا أو حادثا وضعته تحت مجهرى وقلبته على كل وجه وأخرجت له أكثر من وصف وأكثر من تعليل وقد أفلته بعد ذلك فلا أفيد منه شيئا.

وكم رثيت وأرثى لحال صاحب الدعوى الذى ما أن يجلس أمامى فى مكتبى حتى أكون قد سلطت عليه مجهرى الفاحص فأرى وجهه وكيف يعبر وعما يعبر ونظرات عينيه ونغمات صوته وحركات يديه وقد أسرح عن حديثه إلى تفكيرى وإلى النتائج التى أصل إليها وقد أتغابى بعد أن أكون قد إنتهيت إلى نتيجة.

ومأأنسى لا أنسى رجلا جاءنى فأخذ يشرح لى قصة إغتيال حقوقه فى ميراث وكيف أن إخوته قد تآمروا على أكل ماله بالباطل وظل يتباكى ويلعن الزمان والدهر والإخوة والظلم ونكران الجميل.

ومأراعه بعد ساعة من الزمان وهو يتكلم إلا أن أواجهه بقولى : "دع هذا التمثيل وقل لى الحقيقة ماذا تريد؟"

"هل تريد أن أعاونك على صحة عقد بيع مزور حررته وبصمته بختم أبيك؟"

وحيانى الرجل وخرج صامتا وخشيت أن يكون قد حسبنى مجنونا وندمت على تسرعى بإظهار الصورة الإيجابية لما أنطبع من مجهرى فى يقينى ولكن ندمى زال فى اليوم التالى إذ جاءنى إخوته يوكلوننى فى قضية ضد هذا الأخ الذى ظهر أنه أكل تركة أبيه التى تربو على خمسين ألف جنيه بعقود مزورة!!

وكم أرثى لحال القاضى الذى أجلس تحت منصته أو المحامى الذى أرفع بصرى إليه فإذا كلاهما موضوع تحت المجهر وبعد قليل أستطيع – فى أغلب الأحيان

– أن أضع القاضى فى درجته من العلم والذكاء والخبرة والعصبية والوجدانية وكذلك المحامى.إن هذه الخبرة التى حصلتها فى مدة تزيد عن الربع قرن وتقرب من ثلثة لجديرة بأن تقدم إلى القارئين من رجال المحاماة والقضاة ومن المبتدئين ومن الطلاب ومن جمهرة المتقاضين لتفيدهم فى كثير أو قليل وأعتقد أن الإخلاص والصدق اللذين لطهما الميزتان الغالبتان فيما سطرت سيكونان عونا للكثرين على الأقل من قراء العربية.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الباب الثاني

المحاماة فن ... أم صناعة

الفصل الأول :- المحاماة فن أم صناعة ؟

الفصل الثاني :- عناصر الفن.

الفصل الثالث :- المحاماة ورفاهية المجتمع.

الفصل الرابع :- المحاماة والسلام.

الفصل الخامس :- المحاماة والحريات.

الفصل السادس :- المحاماة والكفاح الوطني في سبيل حرية مصر.

الفصل السابع :- القضايا الصحفية أمام الجنايات.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

اللسان ما كان الإنسان ولا الحياة الدنيا إذ ماذا يكون حال هذه الدنيا لو كان الإنسان فيها حيواناً أخرس لكانت حتماً كلها خرساء شوهاء لا جمال فيها. وهى تعبر أيضا بالقلم وحسب القلم شرفاً أنه أداة كل فن جميل ورفيع وأنه الذى علم به الله الإنسان علمه مالم يعلم.

ولكى نقرب الأمور إلى الأفهام وإن كانت القضية ليست عسيرة ولكن الأمثال تلينها وتسيغها... كنت أستمع إلى محام ذائع الصيت للأسف فإذا به يظهر مشوش الملبس لا يكاد يستقر طربوشه على رأسه ولا تكاد تنتظم شعرة فى رأسه مع شعره أخرى يتكلم بصوت ضخم مدو أجش متقطع الأوتار عال إلى حد أن أصداءه تتضارب شرقيها مع غربيها فتجعل فى السمع وقراً وهو يحرك رأسه وعينيه ورقبته ويداه تشوحان بإشارات غير مفهومه ولا متسقه مع نغمات صوته ولا معانى كلامه وهو يضرب بشدة على الطاولة أمامه فتكاد تهتز الأفلاك ويتفزع الدهر ثم يروح ويجئ ويسجد ويركع ثم يثب على مقدم قدميه وقد تفصد وجهه عرقاً ونضح العرق على بدلته وهو فى حديثه – إن كان مفهوماً – يقلب الحقائق بصورة مزرية.

فمثلا يقول ..."هل معقول أن يمر هذا الشخص من هذا الطريق مع أن هناك طريقا آخر يمكنه أن يمر فيه .. لا يمكن أن يمر من هذا الطريق – مستحيل – ومادام لم يمر فهو لم ير المجنى عليه و مادام لم يمر فهو لم يقتله حتماً ولماذا لا يمر بالطريق الآخر مادام هو حر فى أن يسير فى أيهما"

ثم يقول ..."وإذا كان هذا المتهم هو القاتل فكيف يضرب المجنى عليه بسكين مع أنه كان يستطيع قتله بطلق نارى"

"ولكن هذا ماحصل" كما رد عليه وكيل النيابة.

"وهل يستطيع هذا الشاب الضعيف أن يطعن المجنى عليه وكان عملاقاً عدة طعنات" ... ولم لا؟ كنت أسمع هذا المحامى الذائع الصيت وأنا سارح بخيالى متمثلا أحمد لطفى ومرقص حنا وقد سمعتهما يترافعان عن ماهر والنقراشى والشيشينى وأنا طالب فى الحقوق.

ثم مرقص فهمى ووهيب دوس وأحمد علوبة وأحمد رشدى وقد عرفتهم وتشرفت بزمالتهم طول مدة إشتغالى بالمحاماة فإذا المظهر الجميل وإذا الملبس الأنيق وإذا الصوت كخرير الجدول الصافى وإذا التعبير الساحر وإذا المنطق الذى قد تناقشه ولكن لا تستنكره أو تشمئز منه.

فقلت : إن المحامين إما فنانون (artists) أو صناع (artisans) والصنايعى قد يكون ماهراً أو صانعاً بدائياً كنجار السواقى فى الأرياف!

والمحامى الحق هو الفنان أما الصنايعى فهومحام فاشل.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

المحاماة

فن رفيع

محمد شوكت التونى
المحامى

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الفصل الثانى

أولاً :- عنـاصـــر الفـــن

الموهبة

إن فن المحاماة ككل فن يستلزم موهبة خاصة فليس كل إنسان يمكن أن يكون موسيقيا فنانا ... حقيقة يمكن لأى واحد أن يعزف ولكن ليس كل عازف فنانا ولذلك فقد أمكن "أى" شخص أن يكون محاميا ولكن ليس كل محام فنانا.

إذن فالموهبة هى من أهم مايميز الفنان عن الصانع والموهبة هى مجموعة الأصول الكامنة فى "روح" و "شكل" الفنان بحيث إذا صقلهما العلم والمعرفة والخبرة لمعت وأضاءت ورآها الناس شعاليل مضيئة هادئة.

والموهبة سر خفى فى خلقة الإنسان يكشفها العلم والتوجيه وقد تظهر مصادفة.

أما العلم والتوجيه فإن خير مثل لهما أعطيه عن فنان هو طه حسين فإن طه حسين قد نشأ فى القرية وأصيب منذ طفولته فى عينيه وأضر ، وكان المفروض أن يبقى فى البيت وأن يحفظ القرآن ، وأن يظل بين والديه ثم إخوته وقد يصل إلى وظيفة إمام ومقرئ جامع من الجوامع أو مأذون شرعى فيها.

ولكنه عندما تعلم وتثقف برزت الموهبة التى كشفت عن فنه.

والأديب الألمانى الكبير والقصصى العالمى توماس مان ظل إلى ما فوق الأربعين يعمل موظفا ولم يكتب قصة واحدة ثم مصادفة كتب قصة فاشتهر وذاع صيته ونبه إسمه ، وكذلك الأديب العالمى الدانمركى هانس كريستيان أندرسون فإن المصادفة المحضة أبرزت مواهبه.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

وسيد درويش كان أجيرا يعمل فى دهان المنازل ثم غنى ألما وفرحا فإذا صوته يعجب السامعين وإذا به ينتقل من الغناء إلى التلحين وبقليل من العلم إستطاع أن يقلب الموسيقى المصرية فتصبح من أوتار عوده وقيثارته فنا جميلا.

وفى الطب ، والهندسة ،والموسيقى ، والتمثيل ، والتصوير ، والنحت كل هذه الفنون تستوجب الموهبة ، وهى السر الخفى الذى يخلق مع الإنسان ، ويظل كامنا حتى يصقله العلم أو تكشفه المصادفة ثم يكمله العلم وبغير الموهبة لا يمكن أن يكون الإنسان فنانا ولو أشتغل فى الفن مائة عام.

الإستعداد:- الإستعداد هو الإعداد والصقل.

١. الإعـــــداد

فلا تكفى الموهبة ، فإنها من غير إعداد ومن غير علم تظل دفينه, وقد تومض ومضات تحاول الموهبة بها أن تظهر للحياة .. للنور ولكنها لا تستطيع إلا كومض النور ثم تخبو .

فالعلم هو الذى يبرز المواهب ويخرجها من ظلمات الأعماق إلى مشارف النور والحياة وهو الذى يحيلها من صفات غامضة إلى صفات واضحة.

والعلم تعلم وتثقف فليس يكفى أن يدخل الإنسان المدرسة ويخرج منها ظافرا بإجازة علمية إن هذا ضرورى جدا ولكنه غير كاف فإن الثقافة علم الكتب وعلم الحياة ولا يفلح المرء فى خطواته فى الحياة بغير هذين السندين : علم الكتب وعلم الحياة ، وإختباراته وتجاربه.

وعلم الكتب أن تلم بالعلم الذى تتخصص فيه.

والثقافة أن تلم بعدة علوم وتغرف وترتشف من معين معارف تحصلها من الكتب وتحصلها من مخالطة الناس ومجالستهم ومعاملتهم ، ومايقع من تجاريب إن علم الحياة أغلبه مسطور على ألسنة الناس وفى تصرفاتهم وفى قسمات وجوههم ولذلك فإن المحامى الفنان يجب أن يكون معدا إعدادا علميا كافيا ، يجب أن يكون متعمقا فى علوم القانون متمكنا من لغة أجنبية إن لم تكن لغتان فأكثر.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

ويجب أن يكون دارسا للفلسفة وعلم النفس والتاريخ والإقتصاد وعلم الإجتماع وسنرى أنه فى عمله فى حاجة ماسة إلى علوم أخرى كالزراعة والتجارة.

ويجب فوق كل هذا أن يتلقى علوم الحياة يجب أن يكون إجتماعيا يخالط الناس فى النوادى والمجتمعات ويتصل بالنشاط الذهنى حيثما وجد إنه يعمل فى أمور الناس فوجب أن يعرف هؤلاء الناس يجب أن يختلط بالريف والحضر لطبقات العليا وبالطبقات الدنيا لأنه يدافع عن الحياة والحق.

وما أضعف المحامى ويالخيبته ومااشوه فنه حين يكون قليل التجربة فى الحياة فقير المعرفة بأحوال الناس تراه كفأر المكتبة قرض الكتب وحفظها فإذا طبعتها تتساقط من ذهنه إلى فمه ظلمات فيطلقها من فمه معميات لا تشع منها الحقيقة ولا يبدو فيها الإخلاص والفهم.

٢. الصـــقـــل

والصقل هو المران والخبرة وليس هناك من يمارى فىأن الجوهرة النفيسة هى حجر غير واضح المعالم حتى تتعهده يد صانع حاذق فيحيلها جوهرة تشع نورا وتتلألأ على صدور الغوانى.

فالفنان كالماسة تكون أصلا ترابا ورملا ثم تلتقط وتنظف وتصهر وتصقل ثم أخيرا تصبح ماسة لألاءة وضاءة.

وطريق الصقل والخبرة طويل وشاق ومما صرع الفنان أن يتسرع الخطى إلى الإنتاج والإعتداد بالنفس يخرجه من حدود الثقة إلى الغرور ومصرع الفنان فى غروره.

بل إن التواضع هو دعامة من دعامات النجاح لأن الخبرة كالعلم لا حدود لبحرها ولا وصول إلى أعماقها فكلما سبح فيهما المرء وجد موجا ولم يجد ساحلا ومهما خاض فى أعماقها وجد أعماقا ولم يجد قاعا.

وكلما كان الفنان متواضعا كلما سبح وغاص فى أعماق الخبرة والعلم ولذلك فإن المحامى الفنان هو الذى يقضى فترة تمرينه متحملا صعبها راضيا بعذابها مشوقا إلى الخبرة والعلم فإن زادها زمنا لم يندم فإذا إستقل بعمله كان أول ما يفكر فيه هو أنه لا يزال على أول الطريق وأنه يجب أن يكسب دائما خبرة وعلما.

فإذا ظن المحامى أن إجازته العلمية قد أهلته للعمل والنجاح فما أشد بؤسه وما أسرعه إلى الفشل وما أبعده عن النجاح.

٣. الخـــلق

الخلق خير مايزين الفنان ويعينه على النجاح والوصول إلى أهدافه . ومن الخلق الذى يجب أن يتحلى به الفنان التفاؤل ... الصبر ... الإيمان ... المثابرة ... التواضع ... الأدب ... ضبط النفس ... التسامح ... الأمانة ... الإخلاص ... شجاعة الرأى ... التضحية ... الإستقامة.

فإن كثيرين من الفنانين قد صرعتهم شهواتهم ومال بهم عن الفوز إفتقارهم إلى عنصر الأخلاق.

وإن الأخلاق لأهم فى حياة المحامى الفنان – كما سنرى فى تفصيل ذلك – من العلم والخبرة بل إن المحامى الفنان صاحب الخلق القويم أقرب إلى النجاح ممن التوت به أخلاقه إلى منحدر وهاوية.

ولست أقصد بهذا التعميم أن يكون المحامى متزمتا ، متعصبا ، صلبا غير ذى مرونة ، جافى الطبع ، مظلم الرأى ولكن أقصد أن يكون مثاليا فى حدود ضعف الإنسان البشرى كما سنرى.

٤. الغـــايـــة

مما يميز الفنان عن الصانع الغاية التى يهدف إليها ، فالفنان له هدف يسعى إليه وينطلق نحوه ويهيئ نفسه ويعد عتاده للوصول إليه.أما الصانع فإنه يسيى ويسير ويعمل ويكد ولكن ليس له هدف ولا غاية فإذا كان لكل منهما غاية فإن إختلاف

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الغايتين واضحا فالفنان هدفه روحى فيه سمو وعلاء وإيثار وغيرية أما الصانع فهدفه الرزق والمنال والصيت والجاه والأثرة والأنية.

وهى أهداف مادية من اليسير على كل إنسان أن يصل إليها إذا برر الوسيلة واستطى مطايا دنيئة أو غير دنيئة ولكنها موصلة جيدة للرزق.

كان وسيظل دائما مفرق الطرق واضح المعالم فالفنان لا يهدف للمال كغاية ولكنه يعتبره دائما ثانويا يستعمله لكى يعيش ولكى ينتج إن جاء فمرحبا به عبدا يؤمر ليطيع ومطية تركب لتسير وإن غاب وتعسر فسحقا له , ولن يكون المال أبدا سيدا آمرا للفنان ولا فارسا يمتطى صهوة الفنان لكى يصل به إلى غايته.

اما الصانع والإنسان المسلوب فغايته المال ووسيلته : أى شئ.

فإن نال المال طمع فى الأكثر وسعى للأوفر وذل للسيد الآمر ورضخ لأوامره وركع أمام قدسيته وعظمته.

وكم يحفظ التاريخ لنا من فنانين كان عليهم أن يختاروا بين فنونهم وروحانيتهم معتزين بثمار هذه الفنون وبين المال يمزق هذه الثمار ويحيلها باطلا وملذات ضائعة للمشترين فآثروا الفقر وخمول الذكر على المجد والغنى والثراء ولم ينصفوا إلا بعد موتهم وبعد أن ذاقوا الحرمان والحاجة وعفرت جباههم المتربة.

اما المسلوبون فقد غنموا صيتا ومالا وشهرة ثم ماتت كلها بموتهم فما أفادوا ولا إستفادوا.

وليس أوضح فى التفرقة بين المحامى والفنان وبين المحامى والصانع صاحب المهنة من مفرق الطريقين .....

فالمحامى الصانع يؤثر المال والصيت ويقبل عليهما منهوما لا يشبع ولا يهتم بالحق والعدل ولكنه يعمل متعاميا عن المثل العليا فى سبيل جمع المال فإذا جمعه وأكتنزه ومات مات فقيرا لأنه لم يؤد رسالة وإنما أضر ولم يفد.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

أما المحامى الفنان فهو يقف دائما بجانب الحق والعدل ويستفيد بشرط ل تعارضت مثله العليا مع المال داس بقدميه المال مؤثرا الرضا بالقليل قانعا بما يسقيه جرعة ماء ولقمة خبز عن أن يذل للمال فتضيع إنسانيته وتتهدم مروءته وفضائله فإذا مات من بعد فقيرا فقد مات بما أفاد الآخرين إذ أن السعادة وغنى النفس كما إنتهينا فى الفصول السابقة إنما تنحصر فى أمرين:-

أداء الواجب.

وإسعاد الآخرين

وتلك غاية الفنان شاعرا كان أو موسيقيا أو كاتبا أو مصورا أو محاميا وليست غايته المال ولا الصيت ولا المجد وإنما غايته أن يبدع ويجلى جمال الروح والحياة والمثل العليا فإن أصاب مالا أو صيتا أو مجدا فحبا وكرامة وان لم يصب فما أسعده إذ أدى واجبه وترك تراثا يسعد الناس على مر الزمان.

ثانيا :- الحياة فى الفن

ومما يفرق الفنان عن الصانع أن الفنان يعيش فى فنه فهو يؤمن به وهو يحيا من أجله وهو يتعصب له وهو يسعد بتوفيقه ولا ييأس من نكرانه وهو يشقى بهذه الإنفعلات كلها أما الصانع فهو لا يعيش لعمله وإنما يعيش لكسبه ورزقه وهو لا يؤمن به ولكنه يؤمن بما يستولد من هذا العمل.. وهو لا يحيا من أجل عمله وإنما يحيا من أجل مايدره عليه هذا العمل وهو بعد ذلك متسامح لا يسعد بتوفيقه إلا إن كان جالبا للمال ولا يحزن إن فشل إلا أن يكون أساءة على مافقد من مال.

والمحامى الفنان هو الذى يحيا لفنه ويتعصب له ويؤمن به وهو يشقى بهذا كله فإن أدى فى قضية وهو مؤمن بعدالتها ثم خسرها شقى بهذه النتيجة وكافح أجلها فإن فاز رضى وإن دام خسرانها آلمه وآنته أحاسسيه.

أما المحامى الصانع فهو يسعد بنجاح قضيته مهما كان رأيه ومهما كان ضرر صاحب الحق من هذا النجاح مادام قد نال أجره.

وهو إن خسرها سعى إلى إقناع صاحب الدعوى بإستئنافها وأصاب مغنماً جديداً من الأجر فإن خسر الإستئناف أقنع صاحبه بالطعن بالنقض أو إعادة الدعوى فى صورة أخرى حتى تكون الدعوى بقرة حلوب.

العلاقة الإنسانية:-

ومما يفرق بين الفنان وبين الصانع ان العلاقة التى تربط الفنان بمن ينتج لهم علاقة إنسانية لا هى حيوانية تتحكم فيها الشهوات ولا هى مادية الغرض منها سلب المال وغنما إنسانية فيها إيثار وتضحية.

اما الصانع فعلاقته بالناس علاقة مادية الغاية منها إكتساب أكبر نصيب من الرزق سواء كان السبيل إشقاء الناس أو تحطيمهم او أكل لحومهم أحياء.

والمحامى الفنان حين يعمل من أجل المظلومين والبائسين يكون مواسياً لهم مداوياً لجروحهم ناصحاً هادياً ولو كان ذلك على حساب كسبه فإنه يؤثر اللذين يعمل لهم بالسلامة ويضحى بمغانمه من أجل إسعادهم.

أما المحامى الصانع فإنه يتوسل بكل وسيلة لكى ينال أجراً ولو كان فى ذلك ضياع حق موكله أو حق خصمه أو كان فى ذلك خراب بيوت وفقدان حقوق وضياع أعمار إنه يضحى بالآخرين من أجل كسبه.

هذا مقياس التفرقة بين الفنان وبين الصانع.

وهذا هو تطبيقه على المحامى الفنان – والمحامى الممتهن لصناعة المحاماة ولذلك فمن الحق أن نقرر أن **المحاماة فن رفيع** وأنها إن تكن صناعة أو مهنة فبئس ما أمتهن المحامى ويا بؤس حاله وضيعة أيامه ولياليه.

أما أن تكون فناً فإنها الفن فى أجمل مرائيه ومراتبه.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الفصل الثالث

المحامـــاة ورفاهيـــة المجتمـــع

مشاكل المجتمع كلها تنصب من المتاجر والبيوت والطرقات والحقول إلى مكاتب المحامين قبل أن تنصب إلى دور المحاكم ثم تعيش فى هذه المكاتب إلى أن تنتهى إن كتبت لها نهاية ومن المؤكد أن دور المحامى من أعظم المؤثرات فى رفاهية المجتمع أو شقاؤه ونضرب على ذلك الأمثلة الآتية:-

١. الحياة الزوجية

لنفرض أن سيدة متزوجة وقع بينها وبين زوجها خلاف طبيعى أن يقع بين زوجين فخرجت الزوجة من بيت زوجها لم تأخذ طريقها إلى بيت أهلها أو أخذته إلى هذا البيت ثم إنحرفت منه إلى مكتب أحد المحامين وشرحت له خلافها مع زوجها فنصحها بأن ترفع دعوى نفقه شاملة للسكن والمأكل والكسوة وحضانة الأولاد ونفقة خادمة وطلب منها الرسوم القضائية وجزءاً من الأتعاب وامرها ميسور وليس فيهما تعجيز لقدرة سيدة ثائرة الأعصاب مغيظة.

وأعد المحامى عريضة الدعوى وأرسلت بواسطة محضر إلى الزوج الآمن الذى كان ينتظر أن يعود إلفه الغاضب إلى عشه فإذا به يفاجأ بخصومة لا ترده إلى الذهول فحسب وإنما تلوى كرامته إلى رد الخصومة فيسارع إلى مكتب محام ويقدم له الإعلان فينصحه المحامى فوراً بأن يرفع دعوى طاعة ودعوى أخرى بأحقيته فى حضانة الأولاد وتشهد من بعد ذلك المحاكم ألواناً من الخصومة والحقد والمقت والكراهية وقد يتطرف أحد الطرفين فيتعدى بالقول أو بالضرب على الطرف الآخر وقد تأخذ أقارب أحد الزوجين المتخاصمين ثورة طارئة من غضب أعمى فيرتكب جريمة شروع فى قتل أو ضرب يفضى إلى الموت أو إحداث عاهة مستديمة ، وقد

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

هذه آراء عثرت عليها فى عملى وبحثتها على نار التجربة فى سنوات طويلة وحققتها فآمنت بها ومع ذلك فإننى أضعها موضع المناقشة وإن كنت أقول وأنا مطمئن غاية الأطمئنان إننى عرفت محامين أمناء ميالين للخير مناعين للشر ناصحين بالمعروف قد أثروا وأقتنوا وبارك الله لهم فى مالهم.

كما أننى أدرك أن شبابا وافر العدد يقبل على المحاماة وهو حيران لا يدرى أى طريق يسلك وأجد من واجبى وقد أمضيت فى المحاماة قرابة ثلاثين عاما ألا أقول إنى رأيت فيها أو شاهدت أو سمعت فحسب وإنما أقول إننى أخطأت فيها وأننى أتقدم بثمرة أخطائى قبل ثمار أعمالى الصالحة لكى أهيب بالمحامين كبارهم وصغارهم وخاصة الشباب الجديد أن أمامهم طريقين عرفهما الناس من قديم الأزل وأوضحت معالمهما الكتب السماوية والشرائع الدنيوية هما :

- **طريق الخير , وطريق الشر**
- **طريق الأمانة وطريف الخيانة**
- **طريق الأثرة والأنانية وطريق الإيثار**
- **طريق المال والغنى والثراء من المصدر الحرام.**

وطريق الباقيات الصالحات وهى خير عند ربك عقبى وخير ثوابا فمن شاء لنفسه ولمواطنيه سلام الدنيا وسلام الأخرة فليسلك طريق النور ليتنكب طريق الظلام.

أما من سخر وتولى وضحك وأستهزأ فإننى أصلى من أجله وأخشى عليه من يوم الندم حيث لا ينفعه ندمه ولا تكفيره ولا توبته ولا تجديه فى العزاء دموعه ولو جرت بحورا.

وياويلة له يوم يقف هو والذى ظلمه أو تسبب له فى ظلم بين يدى العادل الديان مالك يوم الدين وتشهد عليه يداه ولسانه.

وياويلة له وأنا أدرك سوء حاله إذ لا تزال فى أننى ذكريات النائحين والنائحات اللاعنين واللاعنات ممن أصابهم بلاء الخيانة فى أنفسهم وفى أموالهم وهم يستعدون الله على من تسبب فى خراب نفوسهم وبيوتهم.

جرى فيها العدل والحق فى مجراه الطبيعى وسلك فيها الناس مسلك التعاون والتسامح واتقى فيها كل عامل ربه وراعى ضميره وأستهلم نفسه الأمارة بالخير إلا سمت وعلا نجمها وأثرت وضربت بسهام فى ميدان الحضارة والتقدم وإنى كما قلت لأومن إيماناً راسخاً بأن من أسس الاضطراب فى حياة الأمة المصرية عدم الخشية من الله وموت الضمير وعدم الإيمان بالعدل والإنصاف.

إن بطء التقاضى لسبب أيضا من أسباب ضعف الإيمان بالعدالة فى نفوس الناس فى مصر.

وإن نظرة المحامين إلى المحاماة نظرة مادية وتعاملهم مع موكليهم وهم أفراد الشعب على أساس المصلحة الخاصة كل هذه أسباب أضطراب المجتمع المصرى.

إن الطبيب إذا غلب مصلحته الشخصية إنما يؤثر فرد واحد ، وكذلك المهندس ، ولكن المحامى يتصل عمله بالأسرة بما تحوى من زوجة وزوج وأولاد وإخوة وآباء وأمهات والأسرة مختزل للأمة فإذا فسد أمرها تفشى هذا الفساد فى سائر كيان الأمة.

وإن عمله لمتصل بإقتصاد الأفراد والهيئات ويتوقف حسن المآل أو سوء المصير على إتقاء المحامى ربه أو على تغليبه مصلحته الشخصية وإيثاره المنفعة على الحسنى.

وقد يرى بعض القارئين مبالغة فيما أقول وأرى من الإنصاف أن أقول إننى هونت من الأمور ولم أبالغ ولعل الذين أكتوا بالنار التى أصف بعضها وأصور جزءا من شواظها ولهيبها ينصفوننى فيقولون لقد هون من الأمر ولا يقولون إنه مبالغ فيما قص وروى وقرر من الحقائق أو المبادئ وقد يتساءل البعض كيف يوفق المحامى بين التقليل من المنازعات وبين كسب عيشه وإننى أرى ويرى معى كثيرون من ذوى الخبرة الطويلة فى المحاماة أن تقصير الخصومات بالصلح وبالتوفيق وبالنصح الجميل لا يمكن أن يضيع على المحامى حقه فى كسبه بل إننى أعتقد أن الشخص الذى يرى أنه قد نال حقه فى وقت قصير أو منع عن شر يكون دائما أجزل عطاءا وأرضى بذلا خاصة بعد أن تهدأ ثائرة الخصومة فى نفسه ويدرك أى نفع ناله على يد المحامى الأمين.

يقدم أحد الزوجين المتخاصمين مستندا فينصح محامى الطرف الأخر بأن يطعن فيه بالتزوير، ويطعن فيه بالتزوير فعلاً ويدخل الأمر فى نطاق قانون العقـــوبات وتفتح أبواب السجون كما تفتح منـــافذ الطرقات والشـــوارع للأولاد الذين يحرمون من الأم أو يحرمون من الوالد فيتشردون ويتسكعون وينشأون على الحرمان من أجمل العواطف الإنسانية وهى عاطفة الحب الأبوى.

هذا مثل لما يصنعه المحامى الذى لا يتقى الله فى أسرة هى إحدى دعامات المجتمع لأن الأمة مجموعة أسر ولا ريب أن المحاكم الشرعية قد كان لها نصيب كبير مؤثر فعال فى إقلاق المجتمع وتفرقه وتفككه وتقطع أواصر الأسرة وإزدياد مشاكل الأولاد.

ولو ان هذه السيدة عندما ذهبت إلى مكتب المحامى ثائرة أخذ يهدئ من ثورتها وينهنه من غضبها بالنصيحة الجميلة وبالكلم الطيب ثم حاول أن يجمع بينها وبين زوجها عندما تهدأ الأعصاب الثائرة لعادت إلى منزل الزوجية وأستقرت أسرتها على الوفاق والمودة والرحمة التى عناها الله سبحانه وتعالى إذ قال :-

﴿ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ صدق الله العظيم.

إن هذا المثل بسيط فى تصوره أو فى الإدلاء به ولكنه أخطر ما فى حياة الأمة المصرية.

فإن النزاع فى الأسرة مؤدى حتما إلى شقاء الزوجين ومتى شقيت الزوجة جعلت منزلها جحيماللزوج أو إنقلبت خائنة لأمانة زوجها ولعرضها وشرف أسرتها.

ومتى غضب الزوج وكره زوجته عاش فى بيت هو الجحيم ومتى عاش فى الجحيم الذى كان مفروضا أن يكون جنة ونعيما فقد أضطربت حياته وطاشت سهامه وضاع إنتاجه ففشل وقد يؤدى به الشقاء إلى الثورة والتمرد والغضب فيصبح خارجا على القانون.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

والأولاد فى البيت المضطرب تصيبهم الأمراض الجسمية والعلل النفسية وتكون فيهم العقد النفسية التى تجعل منهم فى المستقبل شباناً ورجالاً وشابات مرضى وأعضاء فاسدين فى مجتمع يصبح مجتمعاً فاسداً مليئاً بالحقد والحسد والضغينة والرغبة فى الإنتقام.

وهذا هو مانشكوه فعلاً فى المجتمع المصرى.

بيوت خربة سواء كانت محطمة خاوية أو عامرة بسكانها الذين تجمعهم على الكراهية زوجات تعيسات ، أزواج محطمون مرضى ، أولاد هم ضحايا للبيت المضطرب والعلاقة الزوجية الفاشلة.

هؤلاء المشردون فى الطرقات المتسولون الباعة المتجولون المجرمون نزلاء سجون الأحداث والسجون العامة كل هؤلاء من ضحايا مكاتب المحامين وساحات القضاء.

فلو تصورنا النزاعات الزوجية يحسم شرها فى مكاتب محامين إتقوا الله ونزعوا إلى الفن دون الجنوح إلى أكتساب المال ويقضى عليها فى دور القضاء بالحسنى وباعادة المودة لوجدنا مجتمعاً صالحاً هو مجموعة أسر مستقرة متحابة بينها رحمة ومودة.

٢. التاجران

وقع خصام بين تاجرين كانا شريكين وقد أصابا نجاحاً فى تجارتهما فحسدهما الحاسدون ومشوا بينهما بالوشاية فقام الخلاف وتطور وأستفحل فقصد أحدهما مكتب المحامى الذى أوصى له لأنه من أكثر المحامين معرفة بفنون التحايل على القانون ومشاغبة الخصوم وتعقيد الإجراءات فإذا به ينصحه – والآخر ينتصح – بأن يرفع قضية حراسة وقضية إستحقاق ومحاسبة وتصفية للشركة ثم يبلغ النيابة بإتهام شريكه بتبديد أموال الشركة وفى الأرجح أنه لا يكون قد بدد شيئاً.

ويسمع الشريك الآخر بقصة ذهاب شريكه إلى المحامى الشهير فى فنون

المشاغبة والمخاصمة فيهرع إلى محام يعتقد انه أكثر قدرة من محامى شريكه وما أن يسمع هذا المحامى تفصيلات العلاقة وما ينتويه شريكه ومحاميه من إجراءات قضائية حتى يتفتق ذهنه عن إجراءات جديدة أقوى أثرا وأسرع طريقا لمقارعة الكيد بالكيد. ويبدأ الإثنان الشريكان كل منهما يبدل بود صاحبه ومعاونته ومشاركته خصاما وعراكا ويصب فى مكتب محاميه أوراقا ومستندات ومصروفات قضائية وأتعابا يدفعها بسخاء ثمنا لإشفاء غله ورغبة الإنتقام وتنصب المستندات والمصروفات إلى المحاكم وتحدد الجلسات وتتجدد الضغائن بتجدد القضايا والمواعيد وإشتداد الخصومة كلما سمع أحد الخصمين كلاما مثيرا من محامى خصمه أو من خصمه نفسه وقد يكون الكلام غير مثير ولكنه فى ظروف كهذه يصبح وكأنه سهام تراش أو قذائف توجه فتصيب مقتلا.

ويتحمس كل خصم ويتحمس معه محاميه وفى غمرة الحماسة يضيع الحق وتصطنع أساليب لا تتفق مع الود وتتكسر فى القلوب النصال على النصال وتوغر الصدور وتنفر النفوس وتمر الأيام تلاحق الأيام فلا أستقر حق ولا عرف صاحب مصير ما له ويوضع المتجر تحت الحراسة وأتى بغريب عن صاحبيه ليديره فيعبث ما شاء له الهوى فإذا أكتملت الأيام أعواما بدأ الملل يتسرب والأمل يفقد والندم يطفو من أعماق النفوس إلى العقل واللسان فإذا كل منهما وجد أن حقه لا يزال مضيعا وأدرك أن المال الذى أراد كل منهما أن ينقذه من صاحبه قد فنى وفنيت معه حقبة من العمر وبدلها الإثنان من هدؤهما قلقا ومن غناهما فقرا ومن دهرهما عبوسا وتشاؤما.

لو أننا تصورنا المحامى الأول وهو مؤمن بفنه مؤمن بالحق والعدالة ومؤمن بدوره فى رفاهية المجتمع وقد نصح موكله بأن يجمع بينه وبين شريكه وحاول أن يهدئ ثائرات النفوس وأن يحطم نباتات الحقد التى بدأت تنمو فى القلوب فإذا فعل زميله محامى الشريك الآخر مثلما فعل زميله لتقابل الشريكان وسويت الأمور وهدأت النفوس وصفت القلوب وأستقر المتجر على حاله من الود والمعاونة فازدهر وتقدمت أسباب نجاحه وأخذ سمته إلى الصعود لا يعرف خسارة ولا هبوطا.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

٢. القرية الهادئة

عرفت قرية عاشت على الهدوء والتعاون بين أهلها تربطهم بعضهم ببعض وشائج من القربى والنسب وقال واحد من أصحاب القرية كان قد أثرى من تجارة ولنرمز إليه باسم "محمد" إنه سمع من أبيه أن أربعة قراريط تكون " حوزة نحل" أى غابة نخيل هى ملك لجده وأنه رهنها مقابل قروش معدودات لوالد "على" واضع اليد عليها وأنه مستعد أن يدفع هذه القروش ويسترد "الغابة" مع أنها ذات تمر مر لا ثمر حلو.

ورفض على وقال إنه ولد ونشأ تحت ظلال النحيل وهو لا يعرف لهما صاحبا غيره وكانت مناقشة أستعمل كل منهما فيها ألفاظا تجرح الثرى محدث النعمة وتجرح الثرى الذى نزلت به نوازل الأيام فقصد الثرى إلى المحامى لأستشارته فرفع له دعوى بطلب إنهاء الرهن الحيازى مصحوبة بدعوى إستهلاك الدين وضحك "على" ولكنه سرعان ماعبس وضاق بالأمر حين أبرز محمد عقد رهن بادى القدم يرجع تاريخه إلى أكثر من ثلاثين عاما وأضطر إلى أن يلجأ إلى محام فنصحه بالطعن فى العقد بالتزوير , وفى المجتمع الصغير – كالقرية- سرعان مايصبح كل واحد من أهلها متعصبا لرأى من الرأيين ووجد من يقول بأنه يعرف حكاية الرهن – وقد يكون هؤلاء القائلين صرعى الوهم وخداع المخيلة – ووجد من ينكر هذا الرأى ومنهم كبار فى السن يقسمون أنهم ماعرفوا لهذه الغابة صاحبا إلا أبا "على" وجده.

وأنفق كل منهما على الدعوى المال وشد كل فريق أزر صاحبه.

وكان على يوما وأهله فى الغابة ومر عليهم موكب زفاف وكان فيه محمد يركب حصانا فاستوقف الموسيقى وأخذ يرقص حصانه على رفرف الغابة واستشاط أهل على غضبوه وكانت معركة ذهب ضحيتها عدد من الفريقين وأنتقلت الخصومة من المحاكم المدنية إلى المحاكم الجنائية.

وأصبحت القرية كل طريق فيها كمين وكل ظلام ستر لجريمة وكثر القتلى والجرحى وقام طلب الثأر بين أهليها وأنتقل العاملون الكادحون من الحقول السجون

وأقفلت أبواب القرية فى الليل على التربص والترصد وانكوت على العبوس والغصام نهارا.

وكنت دائما أسائل نفسى من الذى أوحى إلى "محمد" ليعد عقداً مزورا لخدمة الدعوى؟!

وهل عرف محاميه أن العقد مزور أم لم يعرف؟ وهل نصحه إذ عرف أنه مزور أن لا يقدمه ولا يستعمله؟ أم أنه فضل المال فضحى فى سبيله بالحق أم أنه كان ضحية لصاحب الدعوى الذى أدخل عليه الغش ولم يكن فطناً إلى حد أن يدرك بعد أمد من الخصومة أمام القضاء أن العقد غير صحيح.

كل هذه أسئلة نبحث عليها وقد لا نجدها ، ولكن السؤال الذى لا يحتمل إلا إجابة واحدة هو : ألم يكن من واجب المحامى أن يسعى للصلح مقدرا أن نفقات التقاضى حتما ستزيد على مرور الأيام على قيمة الأرض موضوع النزاع هذا إذا لم يكن قد دخل فى إعتباره وفى تقديره ما قد يتفرع عن هذه الخصومة من خصومات.

لو أن هذا المحامى وزميله الآخر نظرا إلى الخصومة أسمى من نظرتهما إلى المصلحة الخاصة لاتفقا على مصالحتهما وقدرا النتائج التى كان يحتمل وقوعها والتى وقعت بالفعل.

ولو أنهما فعلا لكان أجرهما من الله ومن الناس أكبر كثيراً وأبقى أثرا وأنفع مما نالاه.

ولكانت القرية قد ظلت هادئة تطوى قلوبا تحب ونفوسا تتقاسم المشاعر ورؤوسا تتعاون على الخير وكانت بذلك مجتمعا فيه رفاهية وسلام.

٤. الخلاف بين الأخوة

توفى رجل عن تركة كبيرة عبارة عن أرض زراعية وعمارات بالقاهرة وإحدى عواصم المديريات جمعها بكده وسعيه وعرق جبينه وأخلف من بعده ذرية كانت فى نظره صالحة فعلم شبانها تعليما عاليا وربى فتياتها تربية كاملة فلما أن مات الورثة

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

على أن يتركوا للإبن الثانى مهمة إدارة التركة وكان هذا الإختيار الذى تجاوز فيه الإبن الأكبر له مايبرره لأن الإبن الأكبر كان يعمل فى الأسكندرية موظفا كبيرا وكان متزوجا بسيدة أجنبية منعزلا عن إخوته أما الإبن الثانى فكان يعمل فى الأعمال الحرة وكان عطوفا على أخوته معروفا بحسن السمعة ودماثة الخلق.

ولم يلبث الصفاء بين الإخوة طويلا وتعجل زوجات الأبناء الدخل الكبير كما تعجل أزواج البنات نصيب زوجاتهم وألح الجميع فى أن ينالوا حقوقهم سريعة ومشت النميمة والفتنة بين الأخوة كما تمشى دائما بين حنايا البيوت المصرية وحاول الأخ الأكبر أن يوقف هذا التيار الخبيث وأن يسد كل ثغرة تفتح ولكن سعيه قد خاب إذ أنبرى أحد أزواج البنات بخصومة إنبعثت من مكتب أحد المحامين ثم أنقسم الأبناء ثلاث فرق – فريق يناصر الإبن الذى يدير التركة وفريق يناصر زوج البنت وفريق يقف موقفا سلبيا يندفع مرة إلى الخصومة ثم ينثنى إلى التعقل والتريث.

وكان زوج البنت حقوقيا خائبا نال إجازة الليسانس فى الحقوق بعد طول ركود فى كلية الحقوق ثم أقتنع بوظيفة يكفل له مرتبها وجاهة المظهر وأناقة الملبس وأتصل إتصالاً مستمرا بمجتمع المقاهى والنوادى وكان له أصحاب من مختلف الهيئات وكان هؤلاء الصحاب – عند ما أثار الخصومة هذا الموظف بين أفراد العائلة الهادئة التى كان يكفى أقل إيراد لإرضاء الجميع وضمان العيش الرخاء لهم والشكر على نعمة الله – من المحرضين عليها.

وعندما احتدت الخصومة القضائية بعد عدة قضايا وعدة جلسات تنافرت القلوب وملئت ضغينة أساسها رغبة كل منهم فى الثأر لكرامته وهم يفهمون الكرامة فهما خاطئا.

وكان أحد المحامين الموكلين فى هذه القضية يدرك معنى المحاماة السامى ويعرف أنها عدل وإنصاف وحق قبل أن تكون إرتزاقا وكسبا ومعاشا فبذل سعيا قويا متواصلا حتى جمع الإخوة معا فى مكتبه وسرعان ماسالت دموع الندم من عيون الإخوة المتحابين الذين لم يقع بينهم من قبل نفور أو خصام وإتفقوا على أن ينهوا الخصومة القضائيـــة بتحكيم وقسمة ووكلوا شفويا إلى محام أن ينهى لهـــم الأوراق

ليمضوها ويوقعوا عليها ليرتطبوا كتابه بما إتفقوا عليه شفويا وفى اليوم التالى وإذ كان المحامى قد أغلق عليه باب مكتبه وأخذ يعد أوراق صلح شريف بين الأخوة الأعداء إذا به يتلقى اللوم فى محادثات تليفونية من زملائه المحامين عن بالى الأخوة وكانت كلها تجرى فى لفظ واحد ومعنى واحد هو قطع الرزق إذ كانت التركة وأصحابها بقرة حلوب تدر أضراعها كل يوم لبنا سائغا للشاربين ودجاجة تبيض فجر كل يوم بيضة من ذهب لهؤلاء المحامين.

ونصح المحامى زملاءه ماشاء أن ينصح ولكنه كان يضرب فى حديد بارد وينادى من فى القبور فإن الرغبة فى كسب المال سدت منافذ الأسماع فيهم فلم ييأس وتابع عمله حتى أنهاه واتصل بالورثة فإذا بعضهم ينكلون عن إتفاقهم وبعضهم الأخر يتهربون من محادثته.

وعادت الإنذارات تتوالى منبعثة من مكاتب المحامين وفشل الصلح وخاب سعيه وزاد أمره سوءا أن عزله موكله من مباشرة أعماله كمحام جزاء أمانته إذ ظن أنه إما ضالع مع باقى الورثة وإما فقد حماسته للقضية.

وراقب المحامى الأمين الدعوى عن بعد ومرت السنوات ولم ينل أحد من الورثة إلا فتاتا من الإيراد وأثقلت ذممهم المالية بالديون للإنفاق على القضايا وبخست القيمة الإيجارية للأرض الزراعية وأهملت العمارات وأستغل الموظفون قيام الخلاف وأستمراره فعبثوا وسرقوا وأختلفوا.

وأخيرا ساءت حالتهم وتولاهم الندم فرجعوا إلى المحامى الأمين مرة أخرى ووضعوا الأمر بين يديه فأنقذ لهم ما أمكن إنقاذه بعد أن أصبحوا هم والتركة وعلاقة الأخوة حطاما.

وكان أسوأ من نهايتهم ماسمعه المحامى الأمين من أحد الورثة من أن بعض أولادهم كانت تجمعهم مدرسة واحدة وأنهم قد نقلوا من البيت إلى المدرسة خصومات آبائهم وأمهاتهم فتذكروا بعضهم لبعض وتخاصموا هم الآخرون.

إنى لأتساءل كم كان يمكن أن يكون حال هذه الأسرة من السعادة والرفاهية

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

ومن المحبة والوداد لو أن هؤلاء المحامين نظروا الى التركة والورثة نظرة سامية وجعلوا مصلحتهم الشخصية هى آخر مايعمل له حساب؟

٥. بين إبن وأبيه :-

كان الأب ثرياً بالغ الثراء وكان الإبن وحيده وقد بذل له من ذات نفسه ومن ذات ماله مالاً سخاءاً بعده وتخرج الإبن فى إحدى مدارس الزراعة وأخذ يشتغل مع أبيه فى زراعته ثم حدث أن توفيت الزوجة وهى أم الإبن وتركت من ورائها ميراثاً ضخماً وأراد الإبن أن ينال نصيبه ليشعر باستقلاله وكرامته كرجل وأراد الأب أن يحافظ على كرامته فيظل ملك الزوجة ملكه كسابق العهد ووقع خلاف بين الأبن وبين أبيه وكان لهما محام مؤمن بمبادئ المحاماة السامية فنصحهما بأن يوجدا حلا يحفظ للإثنين كرامتهما بأن يوكل الأب الإبن فى إدارة الأرض جميعها بما فيها ملكه أو جزء منها أو أن يؤجر له نصيباً كبيراً من الأرض أو ماأشبه ورضى الإثنان ولكن جرياً على عادة كثير من المصريين لجأ كل منهما إلى محام آخر لإستشارته فى هذا الحل فأشار كل من المحاميين على صاحبه ببدء الحرب فبدأت وأستمرت سنين تصدعت فيها العلاقة المقدسة بين الإبن وأبيه وأصبح البيت الواحد يضم عدوين بعد أن كان يضم قلبين حبيبين وأصبح لكل منهما عصبة تنتفع من ورائه حتى سارت الإشاعات بأن الإبن يؤجر على قتل أبيه وأن الأب يؤجر على قتل إبنه وتزوج الإبن كريمة ألد أعداء أبيه وتزوج الأب فى سن الشيخوخة فتاة شابة لكى تنجب له إبناً آخر وأضطربت الأمور وأستفحلت وكان مصيرها سيئاً بالنسبة للأثنين.

هذه أمثلة ضربتها وصور عرضتها ولو راعيت الإسهاب لملأت صفحات ومجلدات ولكننى أردت أن أبرز من هذه الأمثلة معانى آلمتنى حيناً وساقتنى قسراً إلى التفكير فى أمر مايتركه المحامى من أثر حسن فى رفاهية المجتمع فإن المجتمع هو مجموعة أفراد وأسر وهو إقتصاد وعلاقات فإذا ساء حال الفرد ساءت حالة الأسرة وأضطرب الإقتصاد وتمزقت العلاقات وشقى المجتمع وإن سعد الفرد وأستقر حال الأسرة وأنتظم إقتصاد الفرد والجماعة وقامت العلاقات بين الأفراد والجماعات على أساس من التعاون والمودة سعد المجتمع،والمجتمع هو الأمة وليس من أمة

جرى فيها العدل والحق فى مجراه الطبيعى وسلك فيها الناس مسلك التعاون والتسامح واتقى فيها كل عامل ربه وراعى ضميره وأستهلم نفسه الأمارة بالخير إلا سمت وعلا نجمها وأثرت وضربت بسهام فى ميدان الحضارة والتقدم وإنى كما قلت لأومن إيمانا راسخا بأن من أسس الاضطراب فى حياة الأمة المصرية عدم الخشية من الله وموت الضمير وعدم الإيمان بالعدل والإنصاف.

إن بطء التقاضى لسبب أيضا من أسباب ضعف الإيمان بالعدالة فى نفوس الناس فى مصر.

وإن نظرة المحامين إلى المحاماة نظرة مادية وتعاملهم مع موكليهم وهم أفراد الشعب على أساس المصلحة الخاصة كل هذه أسباب أضطراب المجتمع المصرى.

إن الطبيب إذا غلب مصلحته الشخصية إنما يؤثر فرد واحد ، وكذلك المهندس ، ولكن المحامى يتصل عمله بالأسرة بما تحوى من زوجة وزوج وأولاد وإخوة وأباء وأمهات والأسرة مختزل للأمة فإذا فسد أمرها تفشى هذا الفساد فى سائر كيان الأمة.

وإن عمله لمتصل بإقتصاد الأفراد والهيئات ويتوقف حسن المآل أو سوء المصير على إتقاء المحامى ربه أو على تغليبه مصلحته الشخصية وإيثاره المنفعة على الحسنى.

وقد يرى بعض القارئين مبالغة فيما أقول وأرى من الإنصاف أن أقول إننى هونت من الأمور ولم أبالغ ولعل الذين أكتوا بالنار التى أصف بعضها وأصور جزءا من شواظها ولهيبها ينصفوننى فيقولون لقد هون من الأمر ولا يقولون إنه مبالغ فيما قص وروى وقرر من الحقائق أو المبادئ وقد يتساءل البعض كيف يوفق المحامى بين التقليل من المنازعات وبين كسب عيشه وإننى أرى ويرى معى كثيرون من ذوى الخبرة الطويلة فى المحاماة أن تقصير الخصومات بالصلح وبالتوفيق وبالنصح الجميل لا يمكن أن يضيع على المحامى حقه فى كسبه بل إننى أعتقد أن الشخص الذى يرى أنه قد نال حقه فى وقت قصير او منع عن شر يكون دائما أجزل عطاؤا وأرضى بذلا خاصة بعد أن تهدأ ثائرة الخصومة فى نفسه ويدرك أى نفع ناله على يد المحامى الأمين.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

هذه آراء عثرت عليها فى عملى وبحثتها على نار التجربة فى سنوات طويلة وحققتها فآمنت بها ومع ذلك فإننى أضعها موضع المناقشة وإن كنت أقول وأنا مطمئن غاية الأطمئنان إننى عرفت محامين أمناء ميالين للخير مناعين للشر ناصحين بالمعروف قد أثروا وأقتنوا وبارك الله لهم فى مالهم.

كما أننى أدرك أن شبابا وافر العدد يقبل على المحاماة وهو حيران لا يدرى أى طريق يسلك وأجد من واجبى وقد أمضيت فى المحاماة قرابة ثلاثين عاما ألا أقول إنى رأيت فيها أو شاهدت أو سمعت فحسب وإنما أقول إننى أخطأت فيها وأننى أتقدم بثمرة أخطائى قبل ثمار أعمالى الصالحة لكى أهيب بالمحامين كبارهم وصغارهم وخاصة الشباب الجديد أن أمامهم طريقين عرفهما الناس من قديم الأزل وأوضحت معالمهما الكتب السماوية والشرائع الدنيوية هما :

- **طريق الخير , وطريق الشر**
- **طريق الأمانة وطريف الخيانة**
- **طريق الأثرة والأنانية وطريق الإيثار**
- **طريق المال والغنى والثراء من المصدر الحرام.**

وطريق الباقيات الصالحات وهى خير عند ربك عقبى وخير ثواباً فمن شاء لنفسه ولمواطنيه سلام الدنيا وسلام الأخرة فليسلك طريق النور ليتنكب طريق الظلام.

أما من سخر وتولى وضحك وأستهزأ فإننى أصلى من أجله وأخشى عليه من يوم الندم حيث لا ينفعه ندمه ولا تكفيره ولا توبته ولا تجديه فى العزاء دموعه ولو جرت بحوراً.

وياويلة له يوم يقف هو والذى ظلمه أو تسبب له فى ظلم بين يدى العادل الديان مالك يوم الدين وتشهد عليه يداه ولسانه.

وياويلة له وأنا أدرك سوء حاله إذ لا تزال فى أذنى ذكريات النائحين والنائحات اللاعنين واللاعنات ممن أصابهم بلاء الخيانة فى أنفسهم وفى أموالهم وهم يستعدون الله على من تسبب فى خراب نفوسهم وبيوتهم.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

هذه آراء عثرت عليها فى عملى وبحثتها على نار التجربة فى سنوات طويلة وحققتها فآمنت بها ومع ذلك فإننى أضعها موضع المناقشة وإن كنت أقول وأنا مطمئن غاية الأطمئنان إننى عرفت محامين أمناء ميالين للخير مناعين للشر ناصحين بالمعروف قد أثروا وأقتنوا وبارك الله لهم فى مالهم.

كما أننى أدرك أن شبابا وافر العدد يقبل على المحاماة وهو حيران لا يدرى أى طريق يسلك وأجد من واجبى وقد أمضيت فى المحاماة قرابة ثلاثين عاما ألا أقول إنى رأيت فيها أو شاهدت أو سمعت فحسب وإنما أقول إننى أخطأت فيها وأننى أتقدم بثمرة أخطائى قبل ثمار أعمالى الصالحة لكى أهيب بالمحامين كبارهم وصغارهم وخاصة الشباب الجديد أن أمامهم طريقين عرفهما الناس من قديم الأزل وأوضحت معالمهما الكتب السماوية والشرائع الدنيوية هما :

- **طريق الخير , وطريق الشر**
- **طريق الأمانة وطريف الخيانة**
- **طريق الأثرة والأنانية وطريق الإيثار**
- **طريق المال والغنى والثراء من المصدر الحرام.**

وطريق الباقيات الصالحات وهى خير عند ربك عقبى وخير ثواباً فمن شاء لنفسه ولمواطنيه سلام الدنيا وسلام الأخرة فليسلك طريق النور ليتنكب طريق الظلام.

أما من سخر وتولى وضحك وأستهزأ فإننى أصلى من أجله وأخشى عليه من يوم الندم حيث لا ينفعه ندمه ولا تكفيره ولا توبته ولا تجديه فى العزاء دموعه ولو جرت بحوراً.

وياويلة له يوم يقف هو والذى ظلمه أو تسبب له فى ظلم بين يدى العادل الديان مالك يوم الدين وتشهد عليه يداه ولسانه.

وياويلة له وأنا أدرك سوء حاله إذ لا تزال فى أذنى ذكريات النائحين والنائحات اللاعنين واللاعنات ممن أصابهم بلاء الخيانة فى أنفسهم وفى أموالهم وهم يستعدون الله على من تسبب فى خراب نفوسهم وبيوتهم.

كما أننى أذكر ، والبشر ينطلق على وجهى وينير قلبى - أولئك الزملاء الكرام الذين أسعدوا الأفراد فأسعدوا الجماعة وأخذوا بالمجتمع إلى حياة رغيدة وعيش طيب.

أولئك لهم جزاء فى الدنيا ولهم عند الله جزاء المتقين فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الفصل الرابع

المحـــامـــاة والســـــلام

لم يعرف الناس حاجتهم إلى السلام كما عرفوه اليوم حقيقة إن الخصومة قديمة والحرب قديمة وكذلك الرغبة فى السلام قديمة ولكن اليوم غير الأمس اليوم قد تقدم العلم وتكشفت منه آفاق وساعة حتى أصبح أداة للرفاهية كما أصبح أداة للخراب والدمار وهاهى تلك المهلكات النووية تهدد العالم بالقلق الذى يحطم النفوس والقلوب ويجعل عيش الناس هما وتفكيرا وليلهم سهرا ويبث فيهم التكالب على الماديات والسعى إلى الغنم بشراهة ونهم ويثير أعصابهم ويضيق صدورهم ويسلبهم الإيمان والصبر كما تهددهم بالفناء وإنتهاء هذه الحياة بما يتضمن من سرعة التخريب والموت.

ولقد ضاق الرزق بالدول والمالك فلم يفكر الناس فيها بالتعايش والتعاون والرضاء بالقليل- والقليل كثير حين ترضى النفوس ولكنهم فكروا فى أن يأكل كل إنسان لحم أخيه حيا وميتا.

ولقد تجاوزت الدول المتخاصمة وإزدادت إقترابا بما صنع العلم من طائرات [1]وآلات لاسلكية وأصبحت المسافات البعيدة التى كانت تقاس بآلاف الكيلو مترات مسافات قريبة تقاس بالدقائق الثوانى.

لقد كانت بريطانيا حين تريد أن تغزو دولة ضعيفة تعد أسطولا وجيشا يقطع الطريق فى أشهر وتقطع المؤونة إليه البحار واليابسة فى أشهر.

أما اليوم فالطائرات تنقل الجنود والمدمرات فى ساعات والأوامر تصل فى لحظات والمؤونة والعتاد يتلاحق فى اليوم الواحد عدة مرات.[1]

---

(١) لم يعاصر المؤلف عصر الكمبيوتر والأنترنت والصواريخ عابرة القارات.

وبذلك إشتبك العالم وإشتجر فى مصالحه ومنافعه وخصوماته ومطامعه بحيث لم تعد دولة من الدول مهما قل شانها تستطيع أن تعيش بمنأى عن المخاصمة والعراك.

وتعالت صيحات الخائفين وترامت إلى الآفاق صرخات المحذرين المنبهين المبصرين بالأخطار الداعين إلى كلمة سواء.

وكان أول الصائحين العلماء الذين وضعوا أدوات الدمار والتخريب فى الأيدى المرتشعة التى هدمها القلق والخوف والإفناء.

ولست مبالغا حين أقرر أن كل من تظله السماء أو تقله الأرض قد أصيب بالخوف والجزع وسيطر عليه القلق وتهددت حياة البشرية تهديداً جدياً إذ أصبح الأمر فى هذه الحياة كلها - كما يقولون - متوقفا على خطأ يقع من فرد واحد موكول إليه إستعمال آلة من هذه الآلت نتيجة فهم خاطئ لأمر صادر من آلة لاسلكية لا تعقل قد تخطئ بلا سبب.

ومن العجب أن كل فرد جازع يدعو للسلام ومع ذلك فهو يعمل للحرب وكل دولة فى قلق تدعو للسلام وهى تعمل ليل نهار وتسخر جميع ما تملك من مال وقوى وعقول للحرب وتُسيت حقوق الله علينا وتُسيت حقوق الشعوب فى أن تحيا فى عيشة راضية وتُسيت حقوق الذين تقدموا بالخير والذين يأتون من بعدنا يترقبون وهم فى عالم الغيب منا الخير والبركات.

ومن العجيب أيضاً أن تجتمع الدول فى مؤسسة أقيمت للتشاور فى صالح الأعمال وقد جمع بينهم ميثاق مكتوب بعد الرضاء الشامل الجامع بينها وتنتكب الدول الميثاق ومبادئه وتتحول الإجتماعات التى هيئت أصلا من أجل السلام وتنكب الحروب والخصومة إلى حرب كلامية تهيئ الطريق إلى حرب الفناء.

تلك المؤسسة هى هيئة الأمم المتحدة.

ومن العجيب أيضاً أن تصبح الصحافة وهى رسول العقل والعلم والفنون أداة للحرب لا تقل خطورة وأثرا وخطرا عن الطائرات والغواصات والدبابات والقنابل النووية.

وكذلك الراديو وهو من أعظم الإختراعات التى وجدت لرفاهية الشعوب قد أصبح أداة لحرب مستعرة تقتل وتفنى وتدمر وهى التى أسموها الحرب الباردة.

إن الناس يصبحون ويمسون يسمعون أنباء هذه الحرب فتتحطم أعصابهم وتعصر قلوبهم ويقع كثيرون وكثيرون صرعى الأعصاب ، وقد تتمزق القلوب وتفجر شرايين الرؤوس من أثر هذه الحرب التى يسمونها باردة وهى فى سخونة البارود السلمى وإلى الحياد.

وقد كان من حق الأجيال الماضية والحاضرة والمستقبلة على كل مفكر وكل قادر على أمر أن يعمل من أجل السلام.

فلنعمل نحن المحامين من أجل السلام وإقراره بما نستطيع وما يسع الجهد وآية ذلك أن نوفر السلام بين الأفراد فنوفره فى مجتمع الدول منفردة ونحن قديرون على ذلك بما قدمنا وأوضحنا بأن يكون المحامى رسول سلام بين المتخاصمين وأن يضع ماء على النار المشتعلة بالخصومة بين الأفراد وأن يهدى إلى سبيل المحبة والمودة والإخاء وأن يصلح بين المتخاصمين وأن يجمع بين الشتيتين المتنافرين.

فإذا إستقر السلام فى نفوس الأفراد إستقر فى كيان المجتمع واستقرت الدولة على حال من السلام والدولة التى تشعر بالسلام يظلل أرضها تدعو للسلام وتعمل له وتسعى من أجله ولا ترضى بغيره بديلا ولا يظنن ظان أن هذا حديث خيال بل إنه حديث صادق منطقى ولا يحسبن من يأخذ الكلام بخفه أن الأمر اليوم للقنبلة الذرية أو الهيدروجينيه فى إقرار السلام لأنها أكبر خدعة أن يدعى دعاة الخراب أن الإستعداد للحرب هو الذى يمنع الحرب . وإنما ندعو إلى التعلق بالروحانيات إلى الدين فنرجع إلى الله وإلى أمجاده وإلى أوامره ونواهيه إلى الخلق القويم إلى الصدق والأمانة إلى التضحية والإيثار إلى التسامح إلى الدفع بالتى هى أحسن إلى التحاب والتعاطف والتوادد.

فإذا غلبنا الروحانية كانت وسيلتنا أقوى من القنابل على أختلاف أسمائها ألوانها وأنواعها ذلك لأن الله أقوى وأعظم وأقدر.

ولقد عاد الملحدون فى جميع الدول أمام شناعة المدمرات وفظاعة آلات الحرب إلى الدعوة إلى الله بعد أن أنكروها أو نسوها او تناسوها.

وما أحرانا نحن بلاد الشرق حيث ولد موسى وعيسى ومحمد ورهط الأنبياء الصالحين إلى إعتناق الروحانية بظلها الرطب ثم نمضى فى ركب التقدم والعلم والمدنية فى غير تخوف ولا طمع حتى نحقق لشعوبنا السلام لعل الغرب من بعدنا يؤمن بما آمنا به ويعمل مثل ما عملنا فينتهى إلى السلام.

لنبدأ بأنفسنا

ليبدأ كل فرد بنفسه فيملأ أعماقه سلاما ومحبة وتضحية وإيثارا

وبعد حين يصبح المجموع سلاما ، وتصبح الدولة سلاما ، ثم يصبح العالم كله سلاما.

لنبدأ بالصغار فننزع من أيديهم اللعب والدمى التى ترمز لآلات الحرب والدمار ونقودهم إلى معرفة الله والإيمان به.

ونعلمهم السلام كما نعلمهم الكيمياء والطبيعة والجغرافيا ليكن درس التاريخ للصغار درسا فى كراهية الحرب وحب السلام فنضمن على الأقل أجيالا قادمة تحب السلام وتحيا من أجله لنبدأ فورا قبل أن تسبقنا الأحداث ولله الأمر من قبل ومن بعد.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

المحاماة

فن رفيع

محمد شوكت التونى

المحامى

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الفصل الخامس

المحاماة والحريات والحياة السياسية

أولاً :- الدفاع عن الحريات

من أروع وأكمل الأعمال الصالحة التى قامت بها المحاماة فى تاريخها الدفاع عن الحريات وخلق الوعى لفهمها والكفاح فى سبيل الحصول عليها ثم المجاهرة فى الإحتفاظ بها.

سواء كانت الحريات العامة أو حريات الأفراد الخاصة.

إن نشأة المحاماة فى مصر بمعناها الصحيح صاحبت عهداً مظلماً فى تاريخ مصر من ناحية الحكم فقد إحتلت بريطانيا مصر وكان من شأن الإحتلال ومن مستلزماته أن يقتل الحريات العامة وأن يحرم على المصريين حرية الإجتماع وحرية الكلام وحرية الكتابة وحرية العمل.

كما كان من هم الإحتلال أن يخنق حريات الأفراد ليخلق شعباً ذليلاً يرضخ ويرضى الهوان ، وعاون الإحتلال الحاكم المستبد "الخديوى" الذى شارك فى عمليتى قتل الحرية وخنقها.

وأمتدت الأيدى التى تنفذ للإحتلال مبادئه وللحكم المطلق أساليبه لتقوم بهاتين العمليتين عن عمد وقصد وهى أيدى أجانب وأتراك وأرمن ويهود ومن جميع الملل والنحل والجنسيات وهؤلاء – وهم موظفو الدولة عندئذ – كانوا يدركون بعقولهم أنهم يخدمون الإحتلال ويخدمون الحاكم المطلق ويتقاضون أرزاقهم من أيدى هؤلاء فهم لا يخدمون الشعب ولا ينالون منه رزقاً ولذلك عرفوا هدفهم وهو ... الإستبداد.

ولقد أحسنوا وسائلهم السجن والضرب بالسياط والنفى والجلد ومصادرة الأرزاق والأقوات.

إجتمع الإحتلال والحكم المطلق والموظفون غير المصريين والمصريون ـ الذين ضعفت نفوسهم وهانت وطنيتهم – على هذا التفكير والتدبير.

ولم يتنفس فى وجدانهم إحساس واحد بالإشفاق فهم نوع غير نوع الشعب وهم أجناس غير جنسه.

ولذلك فقد إجتمع العقل الإجرامى مع الإحساس بالكراهية وبالبغض فأثخنوا فى الشعب جراحا...

وخرس الشعب حتى عن أنات التألم.

وهى طبيعة الشعوب حتى فى هذا العصر المتمدين أن تخشى الظلم وتخاف العذاب وتستكين وتنام على الأذى وتقيم على الذل ولكن إلى حين فإن الفطرة تأبى الظلم وتكرهه.

والشعوب ككل الكائنات الحية تنطوى حتى يظن بها الموت ثم تنشتر لتثب ولقد كان هذا حال الشعب المصرى فى أوائل عهد الإحتلال فقد المعين والنصير والمدافع إلا المحامين فقد وقفوا فى المدن والعواصم والقرى وقفوا بجانب أضعف الفقراء من الفلاحين فكانوا إذا أوذى فلاح ضعيف أو عامل بسيط لجأ إلى المحامى وأمطر المحامى النيابة العامة برقيات وشكاوى.

وإذا وقع على متهم إعتداء دافع عنه المحامى بأنه قد إرتكب ضده جريمة تعذيب ودفع ببطلان الأعتراف أو جعل من التعذيب وسيلة إلى تخفيف الجريمة.

وكان المحامون يتكلمون مترافعين فى المحاكم أو يكتبون شاكين بالبرقيات أو العرائض ويسمع الشعب أصواتهم الشجاعة الباسلة فتشتد عزيمته شيئا فشيئا وتقوى معنوياته قليلا قليلا وترضى نفسه فإن خير عزاء للمظلوم أن ينال من ظالمه ولو بالكلام.

وقد تكفل المحامون ببث روح الشجاعة فى الشعب ضد الظالم كما تكفلوا بتعزية المظلومين من أفراد الشعب عما وقع عليهم من ظلم.

أدرك أفراد الشعب – من موقف المحامين – أن الظلم ليس حقاً للحاكم ولكنه ظلم وأنه عمل سئ وأنه من الممكن مناهضته ومقارعته أو على الأقل الإحتجاج عليه وتسميته ظلماً والتنديد بمرتكبه وتصويره فى أبشع صوره وعرفوا أن هناك شيئاً أسمه العدل وهو على الأرض يتمثل فى القضاء.

هذا فى قضايا الأفراد أما القضايا الوطنية فكان دور المحامين لا يقل قدراً وقيمة ونتيجة عن قضايا الأفراد.

وكانت أول محاكمة هزت مصر والمصريين بل هزت العالم هزته بموقف المحامين تلك هى محاكمة قضيبى دنشواى.

وقف المحامون ينددون بالمحتلين وظلمهم ويتهمون البوليس المصرى بالإستبداد والظلم ويصورون المتهمين فى صورة الضحايا ويرسمون الضباط الإنجليز بأنهم القتلة الحقيقون.

وإستمع الفلاح المصرى والعامل والطالب والتاجر وذهلوا إذ أنهم سمعوا مصريين يسبون الغازى الفاتح المعز المذل المحيى المميت الرافع الخافض بأنه ظالم ومستبد وسمعوهم يدافعون عن الفلاحين الفقراء – الذين لم يدفعوا أجراً لهؤلاء المحامين – ويصفونهم بأجمل الأوصاف وينعتوهم بأكرم النعوت...

هنالك عرف المصريون أن قتال الظالمين لا يكون بالسلاح فحسب وإنما بالحق وبالإيمان به والسعى إليه والدفاع عنه وأن سلاح الحق ماض وفعال وأنه أقوى فى المعركة من السيف والنار.

ولقد أيقن الشعب أن مهمة المحامى هى الدفاع عن المظلومين ورد عدوان الظالمين وآمن إيماناً عميقاً وليس أدل على صدق ذلك أنه لما شذ واحد منهم – هو المرحوم الهلباوى بك – ولعله كان معذوراً ولعله كان يريد تخفيف حدة الظالمين فدافع عن الضباط المعتدين وترافع ضد المتهمين ، لم يغفر له الشعب هذه الغلطة طول حياته وأطلق عليه لقب جلاد دنشواى ... على أنه لم يكن عضواً بالمحكمة بالعقوبة.[1]

---

(١) يحاول المؤلف الدفاع عن الهلباوى باشا - الناشر

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

أدرك أفراد الشعب – من موقف المحامين – أن الظلم ليس حقاً للحاكم ولكنه ظلم وأنه عمل سئ وأنه من الممكن مناهضته ومقارعته أو على الأقل الإحتجاج عليه وتسميته ظلماً والتنديد بمرتكبه وتصويره فى أبشع صوره وعرفوا أن هناك شيئاً أسمه العدل وهو على الأرض يتمثل فى القضاء.

هذا فى قضايا الأفراد أما القضايا الوطنية فكان دور المحامين لا يقل قدراً وقيمة ونتيجة عن قضايا الأفراد.

وكانت أول محاكمة هزت مصر والمصريين بل هزت العالم هزته بموقف المحامين تلك هى محاكمة قضيبى دنشواى.

وقف المحامون ينددون بالمحتلين وظلمهم ويتهمون البوليس المصرى بالإستبداد والظلم ويصورون المتهمين فى صورة الضحايا ويرسمون الضباط الإنجليز بأنهم القتلة الحقيقون.

وإستمع الفلاح المصرى والعامل والطالب والتاجر وذهلوا إذ أنهم سمعوا مصريين يسبون الغازى الفاتح المعز المذل المحيى المميت الرافع الخافض بأنه ظالم ومستبد وسمعوهم يدافعون عن الفلاحين الفقراء – الذين لم يدفعوا أجراً لهؤلاء المحامين – ويصفونهم بأجمل الأوصاف وينعتوهم بأكرم النعوت...

هنالك عرف المصريون أن قتال الظالمين لا يكون بالسلاح فحسب وإنما بالحق وبالإيمان به والسعى إليه والدفاع عنه وأن سلاح الحق ماض وفعال وأنه أقوى فى المعركة من السيف والنار.

ولقد أيقن الشعب أن مهمة المحامى هى الدفاع عن المظلومين ورد عدوان الظالمين وآمن إيماناً عميقاً وليس أدل على صدق ذلك أنه لما شذ واحد منهم – هو المرحوم الهلباوى بك – ولعله كان معذوراً ولعله كان يريد تخفيف حدة الظالمين فدافع عن الضباط المعتدين وترافع ضد المتهمين ، لم يغفر له الشعب هذه الغلطة طول حياته وأطلق عليه لقب جلاد دنشواى ... على أنه لم يكن عضواً بالمحكمة بالعقوبة.[1]

---

(١) يحاول المؤلف الدفاع عن الهلباوى باشا - الناشر

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

نسى الشعب أو تناسى وقفة المحامى ضد الحرية والعدل ووقوفه فى صف الظلم والظالمين ان هذا الموقف يوضح إيمان الشعب بالمحامين وبأنهم الدعاة إلى الحق والحرية وأنهم مقاتلو الأستبداد والمستبدين ، وبعد قرابة ثلاثين عاما من هذا الحادث وقع حادث آخر فى قضية القنابل التى كان بطل التجسس فيها شخص أسمه أبراهيم الفلاح وكان الشعب يعرف أن القضية قد لفقت فى عهد إسماعيل صدقى باشا للإيقاع بنفر من كرام المجاهدين على رأسهم الدكتور نجيب إسكندر وعصبة صالحة من العمال وكان الشعب يعرف أن إبراهيم الفلاح هو مرشد البوليس وكان مقدما كمتهم وترافع عنه الأستاذ عطية الفسخانى وكان محاميا مقتدرا ولكنه أصبح علما على الشر فى رأى العامة لأنه وقف مع الظالم وعهد الناس أن يقف المحامى مع المظلوم.

إذن فقد أدرك الشعب قبل أن يقوم الحكم النيابى وقبل أن ينال الدستور وثيقة الحريات أدرك فى خرائب المدن وفى عشش البوص والحطب فى القري وفى كل مكان أن المحامين هم "حصن الأمان" من الظالمين وبطش الباطشين سواء فى القضايا العامة أم فى القضايا الخاصة.

ولم يخذل المحامون الشعب فكانوا دائما وعلى مر الأيام وفى أحلك الأيام ظلمة وأحفلها بالظلم لا يهابون حاكما ولا يجبنون أمام قسوته ولا ينافقون ولا يتزلفون.

ولذلك أعتبروا فى العاصمة أنهم العدو للإحتلال ورجاله وللخديوية ثم السلاطين والملوك وأعتبروا فى الأرياف العدو الأول للمديرية ومفتشى الداخلية الإنجليز وللمأمير وضباط البوليس.

ولو أردنا أن نعدد أو نحصى لما وسعت مواقفهم المشرفة النبيلة المجلدات وقد أوردنا فى هذا الكتاب عددا كبيرا من القضايا العامة وخاصة قضايا الصحافة والقضايا لاسياسية التى هاجم فيها المحامون الخديوى عباس والسلطان فؤاد والملك فؤاد وكذلك الملك فاروق.

ومن الواجب أن نقرر حقيقة أن المحامين وإن عاشوا مكرمين مقدرين من الشعب إلا أنهم كانوا مكروهين مبغوضين من الحاكمين ولطلما وقع عليهم الأعتداء نتيجة لقيامهم بواجبهم دون خوف أو وجل.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

ثانيا :- حقوق العمال

ومما يجدر ذكره وتسجيله أن المحامين هم اللذين قاموا فى مصر بحركة العمال وأنهم هم اللذين كونوا النقابات وطالبوا بحقوق العمال وترافعوا عنهم فى المحاكم وأكتسبوا لهم حقوقا كبيرة قبل أن تصدر تشريعات العمال.

ونستطيع أن نقول إنه لولا المحامين لتأخر الوعى العمالى سنوات وسنوات ذلك أن المحامين عمال ، فإن العامل هو الذى يكسب عيشه من عمله لا من رأس مال معين ويجب أن نذكر بالحمد والشكر الأستاذ عمر لطفى بك على تفكيره البكر فى شئون العمال ومحمد كامل حسين الذى أنشأ أول نقابة عمالية فى مصر وأنفق عليها ماله كله وظل يملك زمام العمال فى القاهرة ردحا طويلا من الزمن.

ونذكر للأساتذة زهير صبرى ورافع محمد رافع وعبد الحليم رافع وحسنى الششتاوى – ولا أنسى أن أذكر إسمى تواضعا فقد كنت مستشارا عاما لاتحاد نقابات العمال من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٥.

ثم جاء نفر كريم من المحامين يقفون وراء كل نقابة ويدافعون عن حقوق العمال.

ومما يذكر للمحامين أيضا أنهم وهم فى البرلمان قد كافحوا من أجل قوانين العمال فصدرت متكاملة وراء بعض حتى أصبح لهم اليوم فى عهد حكومة ثورة ٢٣ يوليه نقابات محترمة ولهم ممثلون فى مجالس الإدارات وممثلون فى المجلس التشريعى: مجلس الأمة.

ولا ريب أن موقف المحامين فى دفاعهم عن المجاهدين فى سبيل حرية مصر سواء كانوا ثائرين أم زعماء سياسيين كان لهم أعظم الأثر فى تغذية الحركة الوطنية وإستمرارها وتقويتها وإندفاعها أبدا إلى الأمام.

كما أن حرية الصحافة وجدت من المحامين دائما فيلقا محاربا منافحا عنها لم يتخل عنها لحظة فى تاريخ طويل مما جعل الصحافيين : الشجاع منهم يزداد شجاعة

والمتردد يقدم فعاشت الصحافة دائما شجاعة قوية تحارب وتضرب تحارب باستمرار وتضرب بشدة وهى مرخصة التضحية إزاء القصد وهى تشعر بالإطمئنان إلى قوة الدفاع عنها.

إن جهاد الصحافة المصرية فى مناضلة الأستبداد والأحتلال صفحة مشرقة خالدة تستوجب أن تؤلف عنها المؤلفات وأن ترفع التماثيل لزعمائها وقوادها.

ثالثا :- فى المجالس النيابية

البرلمان هو المجلس التشريعى – وهو السلطة التشريعية.

لذلك دخله المحامون ليشرعوا للمجتمع المصرى.

والبرلمان هو حصن الحريات

وقد دخله المحامون ليواصلوا تحت قبته معركة الحرية.

فلم يكن عجباً أن يكون المحامون دائماً هم الكثرة بالنسبة لباقى طوائف الشعب المصرى وإنما العجب أن لا يقود المحامون البرلمان دائماً لأنهم ليسوا أهل الكلام فحسب كما يسميهم بعض الجاهلين الظالمين وإنما هم أهل الفكر المنطقى بطبيعة دراستهم ومرانهم وما يمارسون من فن – هم أيضاً رجال التشريع وهم المقننون الذين يعرفون مواطن الداء فى القوانين القائمة كما يعرفون مواضع الحاجة إلى التشريعات الحديثة وهم أيضاً رجال آمنوا بمكافحة الحكومات الفاسدة وعرفوا كيف يقتلون من أجل الحرية.

وفى البرلمان ميدان لهم واسع الرحبات مرتفع الصوت لأن البرلمان حصن الحريات ومشعل نورها.

رابعاً :- التقاليد البرلمانية

كان من الحتم وقد قامت الحياة البرلمانية فى مصر على أسس ديمقراطية على نمط مثالى لأحدث الدساتير على الرغم من النقائص والثغرات التى أراد الحاكم

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

المستبد أن يحتفظ بها للنفاذ منها إلى شهواته ومآربه ولكم نفذ كثيرا حتى أضاع قيمة الحياة الدستورية وكان من الحتم أن تصاحب ممارسة الفن البرلمانى تقاليد برلمانية سرعان ما أنعقد مجلس النواب ١٩٢٤ حتى بدأ نشاط العقل التشريعى ممثلا فى المحامين بوضع اللائحة الداخلية وتنظيم اللجان وتطبيق الدستور تطبيقا صحيحا من حيث أعمال اللجان ومناقشات المجلس وإدارة الأسئلة والإستجوابات والمناقشات.

وكان المحامون وحدهم هم أصحاب الفضل الأول والأخير فى ما أحرزته الحياة النيابية من إبتداء حسن إستمرار ناجح بالنسبة لممارسة الفن البرلمانى.

قد يعترض معترض بأن الحياة النيابية لم تنجح ومهما كان المر فى هذا القول صحة وفسادا فإن مرجع ما يؤخذ على الحياة النيابية إنما هو محاربة الإحتلال لقيام الحياة الدستورية فى مصر وعداوة الحاكم المستبد سواء كان فؤاد أو فاروق لقيام سلطة تحد من سلطته وتجعله يملك ولا يحكم.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى شهوة الزعماء للحكم وهى الشهوة التى صرعت كثيراً من الزعماء الصالحين كما كان فيها مصرع الحياة النيابية فى مصر – وهذا على أى حال موضوع آخر ولا يتعارض مع موضوعنا الحالى وهو أثر المحامين فى الحياة النيابية لقد وقف المحامون فى جميع المجالس النيابية يتكلمون – لا لمجرد الرغبة فى الكلام – أو لأن صناعتهم التى يحذقونها الكلام وإنما وقفوا مدافعين عن الحريات العامة والحريات الخاصة سواء كانوا معارضين أم مؤيدين واضعين بذلك أقوى الأسس للتقاليد البرلمانية وأبقاها وأشدها تمكنا وتأصلا فى تاريخ الحياة الدستورية

خامساً :- القوانين

ولما كان أهم مجال للنشاط البرلمانى هو التشريع والتشريع هو أول من اول أعمال المحامين ليس فقط بسبب تخصصهم فى علم القانون ولكن بسبب تكوين العقلية القانونية mentalite juridique وهى عقلية تتميز مع مرور الزمن بنضوج علم وفن القانون على نارين من دراسة ومن عمل ومتى إجتمع الدرس نتاج العقول

وتراثها من قديم الزمان مع العمل القوى المتواصل حيث تمتزج المشاعر والأحاسيس مع العقل وأحداث الزمن فإن النتيجة الحتمية عقلية تحل المشاكل وتهون العسير وتزيد الأمل وتدفع نحو المستقبل.

وعلى هذا الأساس أخذ المحامون ينظرون فيما بين أيدى السلطة التنفيذية والسلطة القضائية من قوانين وهم أصلا يعرفون أوجه النقص فيها وثغرات الضعف ولذلك أخذوا منذ سنة ١٩٢٤ يغيرون ويبدلون وينشئون ويقترحون ويساهمون فيما يقترحه غيرهم من النواب أو تقترحه الحكومات حتى تغيرت جميع القوانين فى مدى ربع قرن ولم يبق منها شئ فى النشاط القومى أو المرافق العامة لم توضع له القوانين أو تبدل قوانينه إلى ما هو أحسن.

وليس المجهود قاصراً على إقتراح أو مناقشة مواد القوانين فى الجلسات العلنية إنما العمل الجبار هو العمل الخفى عن نظر الجمهور ومكانه العمل فى اللجان حيث تبحث كل كلمة من كل مادة وتقارن بجميع قوانين العالم.

هذه أعمال يجب أن تذكر للمحامين بالفخر والشكر.

سادساً :- شجاعة الرأى

تخلق المحامون منذ القدم بخلق مميز يكتسب عادة بالعقيدة ثم بالمران وقد أصبح على مرور الزمن فطرة فى المحامى ذلك الخلق هو شجاعة الرأى.

إن المحامى لا يخشى عند أداء واجبه المحكمة أو النيابة أو السلطات الإدارية ولا يثنيه أبداً عن قولة الحق لومة لائم ولا بطش جبار.

هذه من مميزات المحامى بل إنها من الصفات التى تعصف بأعصابه وقد نقلها المحامون – إلى دار البرلمان وكان لهم دائما – سواء كانوا مؤيدين أم معارضين – مواقف تميزها الشجاعة التى لا ترهب المستبد وحده فقط إنما تشيع روح الشجاعة فى الشعب الذى عانى من الظلم ألوانا كادت فى كثير من الأحيان تذهب بشجاعته.

وشجاعة الرأى ليست من المميزات الخلقية فحسب سواء بالنسبة للفرد أو للجماعة وإنما هى سبب قوى للتقدم ودافع من دوافع الرقى والإندفاع نحو الأحسن.

ولولا شجاعة الراي لتأخر ركب الفكر والفن والسياسة . وتاخر ركب المدنية أجيالا وأجيالا .

لقد كان سعد زغلول وهو رئيس الأمة ورئيس مجلس النواب ماردا .. وكان له من كفاية شخصيته . وعلمه وزعامته ما يروع النفوس . ويلقي الرعب في القلوب ومع ذلك فقد وقف له عبد الرحمن الرافعي المحامي الشاب وأحمد ماهر المحامي الشاب أيضا . الأول من المعارضين والثاني من المؤيدين بل من الحواريين . وقفا له معارضين بشجاعة قفزت بروح الشعب المعنوية عشرات السنين نحو المستقبل وبعد قرابة ثلاثين سنة وقف كاتب هذا الكتاب يؤبن أحمد ماهر فقال :

" ان مفتاح شخصية أحمد ماهر هو شجاعة الرأي .

وشجاعة الرأي أمضي من شجاعة السلاح في الحروب .. حتي في حروب السلاح .

إن الجندي بشجاعته يغلب جيشا فقد الشجاعة ولازمه الجبن وملئ قلبه بالرعب".

لنذكر هذه المعنويات فإنها جزء من تقدم الأمم وبه يكتب تاريخها . ويحدد مستقبلها ويستنير المظلم من أركان حياتها .

الأدب البرلماني :

فن الكلام يمارس في دور القضاء .. كما يمارس في المحافل السياسية .

ولما كانت مصر قد غبرها دهر بل دهور كممت فيها الأفواه . وألجمت الألسن بالأحكام العسكرية والقوانين الظالمة لذلك انفرد المحامون وحدهم بممارسة فن الكلام في دور القضاء.

وعلي ألسنتهم وحدهم كان للغة العربية فن في الكلام . وبرز منهم خطباء يقفون مع خطباء العالم في محاذاة واحدة ومستوي واحد .

وكم أعجبني المرحوم الأستاذ علي أيوب المحامي العظيم – وكان متحدثا ومتكلما وخطيبا ومترافعا متميزا بجميع صفات الفنان المبدع – أعجبني حيث رثي مرقص فهمي المحامي الخالد فقال " انه لم يتفوق علي زملائه في مصر وحدها ولا في الدول العربية ولا في الدول الغربية . بل إنه يذكر مع شيشرون وقد لا يذكر معهما ثالث إلا في مستوي أقل من مستواهما " .

وإننا لنذكر مع مرقص فهمى ـ سعد زغلول وأحمد لطفى وأحمد عبد اللطيف ووهيب دوس ومحمد علوبة ومحمد كامل حسين والهلباوى وأبو شادى ومرقص حنا وعشرات غيرهم ممن جعلوا المرافعة فنا وجعلوا من الفن إبداعا.

هذا حال المحامين عندما كان مجال الكلام لهم وحدهم فى دور المحاكم, فلما جاء دور الثورة ثورة ١٩١٩ وكانت خطبها ولهبها من ألسنة الخطباء كان المحامون فى كل مكان من أرض مصر هم لسان الثورة.

وإن أنسى لا انسى أيام كانت تهرع القاهرة وضواحيها وزوارها إلى الأزهر لكى يسمعوا الخطباء وكان من أئمتهم أبو شادى ومحمود بسيونى وإبراهيم عبد الهادى الذى سمى فتى الثورة وخطيبها عندئذ وغيرهم من المحامين.

لقد تحدث المحامون إلى الشعب فأيقظوا الراقدين وألهبوا المستيقظين وأوقدوا نار الملتهبين فكانت الثورة الرائعة سنة ١٩١٩ وكانت الثورات من بعدها.

ولا شك أن خطباء الثورة – وعلى رأسهم المحامون – قد أستحدثوا فنا نسميه أدب الثورة الخطابى بحق كما أن كتاب الثورة سواء الذين كانوا يكتبون فى الصحف أو يحررون البيانات والنداءات السياسية قد استحدثوا فنا من حقه أن نسميه أدب الثورة الكتابى.

وإن كان كتاب تاريخ اللغة والأدب يتحدثون عن الخطابة فى الجاهلية وفى فجر الإسلام ثم فى الدولة الأموية والعباسية والفاطمية كما يؤرخون للنثر فى هذه العصور فإن من حق الثورة أن يؤرخ أدبها المكتوب وأدبها الخطابى ويدرس ويرد إلى التقدير الصحيح له.

ولا شك أن هذا الأدب سيكون – بعد دراسته – قد جعل عصره عصرا ذهبيا للغة العربية تجاوز حدود مصر إلى العالم العربى كله بل إنه دفع اللغة إلى التقدم والمرونة للتعبير عن شتى المعانى والأحاسيس.

ثامناً :- الأدب البرلمانى

ولما أعلن الدستور وأنعقد البرلمان كان على المتكلمين فى دور المحاكم والذين هزوا أعواد المنابر السياسية أن يثبتوا وجودهم تحت القبة الخالدة حيث يستمع لهم زملائهم وينصت لهم شعب مصر ليدرك مقدار ثماره من ثورته وينصت لهم العالم ليعرف مدى صلاحية هذا الشعب للحياة الدستورية ويمسك لهم التاريخ قلمه القاسى ليسجل مايقولون.

كان عليهم أن يعرفوا أن ما يقولونه تحت قبة البرلمان ليس الهدف منه فك رقبة متهم أو رد حق مضيع لفرد من الأفراد ولا هو إثارة الجماهير وإنما هو لخير الأمة وصلاح المجتمع وأنه باق من بعدهم للأجيال وأنه خالد فى التاريخ ليكون فصلاً مجيداً من كتاب تاريخ هذه الأمة المجيدة التاريخ.

وقد شعر المحامون فى مجلس البرلمان بعظم المسئولية الملقاة على كواهلهم فكانوا لها كانوا أبطالها وكانوا أكملهم خلقوا أدباً خطابياً من نوع خاص هو الأدب البرلمانى فهو ملئ بالتعبير القوى واللغة السليمة والعبارة الواضحة ليس فيه حشو مقصود به الإثارة ولا تحده حدود ضيقة كفن الأدب القضائى الذى تحده الدعوى وموجباتها. سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

لم يكن الأدب الذى يخاطب الجماهير لتنفعل وهى أصلاً قابلة للإنفعال ، لم يكن الأدب الذى من شأنه أن يقنع قاضياً أو ثلاثة أو خمسة موحدة تقريباً ثقافتهم هو محصور فى موضوع القضية.

ولكنه كان الأدب الذى يقنع به الخطيب أكثر من مائة مستمع ... مائة مستمع تختلف ثقافتهم وتتباين أمزجتهم , متنوعة عواطفهم وهو أدب منقول إلى أسماع الجماهير وعيونهم – فوراً على صفحات الصحف – وهم الحكم الأخير الذى ينقد ويعجب ولا يرحم وإنه نوع من الأدب عسير صعب لا يحسنه إلا موهوب صقلت مواهبه التجربة والمران.

ولقد أحسنه النواب والشيوخ من المحامين وأتقنوه وتفننوا فيه , حتى أصبح مثالاً

راقياً يبعث على الإعجاب والتقدير ويصلح للمحاذاة والمحاكاة و كما هو خليق بالدرس والتأدب عليه.

إنه أدب لم يخلق المجد لأمة تأدبت عليه فقط وإنما خلق المجد لدولة بنيت قواعدها الحديثة عليه.

وإنه لأدب خالد ... عند المنصفين.

هذا هو موجز لفضل المحامين والمحاماة على الحريات والحريات العامة وعلى الحرية السياسية فى مصر وعلى الحياة البرلمانية فيها.

إنه أثر عظيم يستحق أن يخلد فى مجلدات بل مجلدات , وأحسبنى أطمع فى أن يكون لهذا الموجز التأثير الذى يحفز رجالاً يكتبون عنه ويصنفون الكتب والمجلدات فيه.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الفصل السادس

المحاماة والكفاح الوطني
في سبيل حرية مصر واستقلالها

بعد أن تم للإنجليز احتلال مصر بدأت صفحة سوداء لأعمالهم الاستعمارية كما بدأت صفحة بيضاء لكفاح شعب أعزل من السلاح . سلاح الكفاح بجميع أنواعه . فقد كان الشعب محكوما بحكومة علي رأسها عدو لدود له هو الخديو توفيق فكان الشعب بمثابة الجسم الذي لا رأس له أو بمثابة الجسد الذي يتسرب إليه المرض القتال من رأس متخمة بالميكروبات الفتاكة .

وكان زعماء الرأي والفكر قد نكبوا بعد الثورة العرابية فنفوا أو سجنوا أو شردوا أو حوربوا في أرزاقهم.

وكان الجيش قد انحل ولم يبق له من أثر.

وكانت الأداة الحكومية بأيدي الأجانب والأتراك والمرتزقة من جميع الأمم ومختلف الملل والنحل.

وكان الشعب يعاني فوق ذل الهزيمة الفقر والمرض والجهل.

وكان اليأس يرين علي النفوس.

وكان طبيعيا في حياة الأمم الأصيلة في الحرية أن لا يظل الحال كذلك .

وكان لابد للنور أن ينبثق.

وللصوت الحبيس أن ينطلق.

وكان لابد أن يتحرك الصريع وتدب في أوصاله الحياة.

وقد دبت الحياة فعلا في المارد الصريع _ مصر _ التي كافحت الغزاة علي مر السنين، فكان تاريخها لا تاريخ إحتلال مستمر كما يزعم الجهلة المأفونون وإنما تاريخ كفاح مستمر في سبيل الحرية والاستقلال وقتال دائم لطرد الغزاة المستعمرين وتضحيات متوالية بالأرواح والأموال.

دبت الحياة في الصريع أول ما دبت في مدرسة الحقوق وانبثق النور من فضائها.وانطلق الصوت من مئذنتها.

وكان صاحب الصوت الذي انطلق معبراً عن نجوي زملاءه هو صوت الشاب مصطفي كامل وهو الذي كتب إلي أخيه يبرر له رغبته في الالتحاق بمدرسة الحقوق فقال في خطابه المؤرخ ١٢ يوليه سنة ١٨٩١:

"ولكنني أؤمل أن تعود إلي القوي لأدخل مدرسة الحقوق الخديوية فقد عزمت علي الإنضمام إلي صفوف طلابها لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم .. الخ".

فلما انضم الشاب الثائر إلي صفوف طلاب مدرسة الحقوق _ مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم ، لقي في هذه الصفوف شبابا تغلي في عروقه دماء الثورة.من أمثال فؤاد سليم ولطفي السيد واسماعيل صدقي وأحمد رمزي ومرقس فهمي فتلاقت أرواحهم وقلوبهم وآلامهم وآمالهم.

ولا شك في أن مصطفي كامل - كفرد - ما كان له ككل فرد أن ينهض بمسؤلية أو يصيح بدعوة إلا بمؤازرة رفقاء وإخوان .وقد حدثنا معاصروه أمثال عزيز خانكي وعلوبة وأحمد رمزي ومرقس فهمي بذلك.

كانوا يجتمعون في المدرسة وفي القهاوي وفي "المنادر" والمنتديات ويتحدثون ويتناقشون ويتبادلون آراء الثورة.

وكانوا يتصلون برجالات مصر المثقفين أمثال عبد الله النديم ولطيف باشا سليم وإسماعيل باشا صبري.

وإنني أخالف هنا رأي الأستاذ الجليل المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي في كتابه عن مصطفي كامل صفحة٣١ إذ أنه بعد أن سرد ما ران علي النفوس من اليأس استنتج أن الفضل في دعوة مصطفي كامل في هذا الجو المظلم :إنما هو فضل عبقريته ، وعبقريته لا تنكر .. ولكن العبقريات كنوز دفينة لابد من أيدي تعمل لإخراجها وصقلها وإبرازها في صورتها البهية ,إن العظماء والعبقريين ليسوا ذواتا مستقلة عن بيئاتهم وما هم مقودون بأنفسهم وإنما يرتفعون بالمعاضدة والمؤازرة والمعاونة.

كان النبي محمد فقيرا ، أميا ، يتيما ، ولكن نصر الله جاءه علي يد المؤمنين الذين التفوا حوله بالرأي والتضحيات والمهاجرين معه ، والأنصار الذين شدوا أزره ومكنوا لدعوته ، والمؤلفة قلوبهم .

كذلك الحال مع مصطفي كامل وجد في مدرسة الحقوق العش الذي يسقسق فيه كالعصفور المغرد فلما اجتمعت العصافير صارت شواهين ، وصقورا ونسورا .بإجتماعهم في الرأي والعمل.

وليس أدل علي ذلك من حادث أول مظاهرة بعد الاحتلال ، وكانت في يوم ٢٠ يناير ١٨٩٣ حين قامت أزمة بين اللورد كرومر والخديو عباس الذي كان قد أقال وزارة مصطفي باشا فهمي فتدخل اللورد كرومر لكي يلطم الخديو الجديد لطمة يظل بعدها صريعاً ، وطلب أن يغير الخديو موقفه ويبقي مصطفي فهمي رئيسا للوزارة ، ووقف الخديو الشاب يدافع عن حقه.

عندئذ تحمس طلاب الحقوق ، وتحمس معهم طلاب المدارس العليا وراحوا يثيرون الشعب حتي إذا ما كان الخديو يؤدي صلاة الجمعة بمسجد الإمام الحسين رضي الله عنه كانت المظاهرة مصطفة علي طول الطريق يقودها طلاب الحقوق الذين شقوا عنان سماء القاهرة لأول مرة في تاريخ الكفاح الوطني منذ الاحتلال البريطاني بهتافاتهم بتأييده وسقوط الإحتلال.

وأعادوا نفس المظاهرة ، مساء السبت ٢١ يناير ١٨٩٣ عندما حضر الخديو تمثيل رواية عايدة بالأوبرا .

وتخرج مصطفي كامل في مدرسة الحقوق الفرنسية بجامعة تولوز وعاد إلي مصر يشتغل بالمحاماة وهو يقول في خطاب له لشقيقه مؤرخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٤ " واليوم أحمد الله حمدا كثيرا وأشكره شكرا جزيلا علي فك قيد أسري والمن علي باطلاقي في ميدان الحرية ، فقد أصبحت حاملا شهادة الحقوق ، وعولت بمشيئة الله علي الإنتظام في سلك رجال المحاماة لأدافع عن حقوق الأفراد ولو اتيح لي الخير وبلغت ما أتمني لكنت المدافع عن حقوق الأمة بأسرها أمام العالم أجمع .. إلخ "

وفي نفس الشهر أدلي بحديث إلي جريدة (جازيت دي تولوز) التي تصدر في تولوز عقب تخرجه قال فيه :

" ومتي عدت إلي مصر أنضم في الحال إلي صفوف المحامين لأني ممن يزدرون الحكومة المصرية الحاضرة ولا يرون التوظف فيها أو الاستظلال بظلها وكيف لايكون الأمر كذلك والموظف منفذ لإرادة من اغتصب أثمن وأقدس شئ لدينا وهو الدستور ".

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

وعاد إلي مصر فنشرت جريدة المؤيد في عدد ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٤ ما يأتي:(قررت لجنة انتخاب المحامين قبول حضرة الفاضل الأديب مصطفي أفندي كامل صاحب جريدة المدرسة والحائز للشهادة النهائية في الحقوق محامياً أمام المحاكم الإبتدائية وهو من نخبة الشبان الأذكياء)

بعد ذلك انضم إلي جمهرة صالحة من رجال المحاماة أمثال أحمد لطفي وعمر لطفي وأبي شادي واسماعيل عاصم واسماعيل الشيمي ومرقس فهمي ولطفي السيد وغيرهم وبدأوا الكفاح وأعدوا عدته من مال وذخيرة فكرية ، وأخذوا يتصلون بزعماء الفكر في البلاد وأخذت الخلية يطن فيها أزيز .

إلي أن صدر اللواء في ١٩٠١ فكان محرروه من المحامين : محمد فريد ومصطفي نجيب وإسماعيل شيمي وويصا واصف ومحمد سالم وفؤاد سليم ومحمود أنيس وعبد القادر حمزة ولطفي جمعة ، ثم تكون نادي المدارس العليا . وكان حصن الجهاد ومنارته ولواءه . وكان رئيسه حقوقيا هو عمر بك لطفي . وكان من أعضاءه

البارزين مصطفي كامل وعبد الخالق ثروت واسماعيل زهدي وأحمد أمين وبديع قربه ومحمد علي دولار وصالح جودت وفؤاد أنور وأمين الرافعي ومحمد فايز وحاتم يوسف العسكري ونبيه سلام وعبده سلام وعبد المقصود متولي .

حادث دنشواي:-

في ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواي .

وإنها لحادثة دنشواي .. وكفي !

فانبري لأول مرة صوت المحاماة علي لسان أحمد لطفي ولطفي السيد ومحمد يوسف وأبو شادي يلعنون الإستعمار ويمجدون الحرية . وهم يدافعون عن ضحايا وضعوا في قفص الإتهام قسراً وظلماً وهم المقتولون وأولياء الدم .

وعلي صوت هؤلاء المحامين تنبه المصريون ، ومسح النائمون عن عيونهم غفلة النوم ،فهبوا يلعنون الاستعمار ويكافحونه ويقاتلون من أجل الخلاص منه .

الحزب الوطني ١٩٠٧ :-

ثم تكون أول حزب في مصر فكان أغلب أعضاءه من المحامين _ محمد بك فريد - ويصا واصف - محمد حافظ رمضان - محمود فهمي حسين - إسماعيل بك شيمي - مرقص حنا - محمود أبو النصر - محمد علي علوبة - محمد كامل مرتجي - محمود بسيوني - مصطفي النحاس (وكان قاضياً عندئذ) وغيرهم.

وكان لهذا الحزب أول صوت في الشرق نادي بطلب الحرية والاستقلال

وظل هذا الصوت مدويا . تتفرع عنه أصوات مدوية إلي أن هبت الشعوب جميعاً . حتي في وسط القارة المظلمة أفريقيا تطالب بالحرية والاستقلال وانهارت الامبراطوريات وتداعت دعامات الاستعمار وثلت العروش انكمش طغيان الحاكمين أمام جبروت الدعوة إلي الحرية هذه الدعوة التي بعثتها حناجر المحامين منبعثة من رؤوس مدركة لمعني الحرية وقلوب مؤمنة بقيمة هذه الحرية بالنسبة للحياة والوجود .

محمد فريد :

وحمل المشعل بعد مصطفي كامل محام أخر هو محمد فريد وفي أيامه تلاقي الطغيان مع دعاة الحرية أمام المحاكم لأول مرة في قضايا متعددة منها قضية الشيخ عبد العزيز جاويش _ وكان من المجاهدين الأبطال الأبرار _ وكان ميدان جهاده الصحافة وكان يملك قلماً من نار إذا هجم به أحرق من يهاجمه وأشعل لهبا في صدور القارئين .

وكان يتولي تحرير جريدة اللواء وكان قد حدث في السودان في بلدة تسمي الكاملين أن قامت ثورة بزعامة شيخ يدعي عبد القادر فجردت الحكومة قوة من الجيش نكلت بالزعيم والثائرين وقتلت عددا كبيرا منهم ثم قدمت متهمين للمحاكمة فقضت المحكمة بإعدام ١٢ شخصاً ومعاقبة ثمانية بالأشغال الشاقة المؤبدة ومنعت الحكومة المصرية نشر النبأ فلما علم اللواء بالحادثة نشر عنه كلمة بعنوان (دنشواي أخري في السودان _ ٧٠ مشنوقاً وسجيناً) فأقامت النيابة الدعوي العمومية علي الشيخ عبد العزيز جاويش وقدمته للمحاكمة أمام محكمة عابدين وترافع عنه الأساتذة أحمد بك لطفي وإسماعيل بك شيمي ومحمود بك فهمي حسين (وقد توفي أخيراً وقد عرفناه وقضينا معه سهرات في النادي الأهلي أمتعنا فيها بالحديث عن ذكريات تلك الأيام الكريمة)

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

ترافع المحامون عن أول صحفي يتهم بتهمة خاصة بحرية النشر وكان لمرافعتهم صدى فى البلاد وقد قضى فيها بالبراءة.

وعرف الناس بفضل المحاماة أن للكاتب أن ينشر ما يشاء يهاجم من يكون مهما تناهت قوته وكم عجب الناس عندئذ لما ذكره المحامون عن حرية النشر وحرية القلم.

وكان من أثر مرافعة المحامين وحكم القضاء أن لجأت الحكومة المصرية التى يديرها الإنجليز المستعمرون إلى إصدار قانون المطبوعات الذى حد من حرية الصحافة وجعل صمامات وأكنة وكمامات على أقلام الكتاب والمحررين أمداً طويلا ودهراً دهيراً.

وقامت المظاهرات إحتجاجاً على إصدار هذا القانون.

وقدم للمحاكمة من المتظاهرين كثيرون نذكر منهم أحمد حلمى محمود ورمزى نظيم (الزجال المعروف) وعثمان طلعت صبور ومختار طلعت صبور وترافع عنهم المحامون مرافعات قوية هاجموا فيها القانون ومن أصدره والإحتلال وأساليبه وشنوا حرباً شعواء على الوزراء الذين يحكمون باسم الإحتلال وقضى فى القضية بالبراءة والحبس مع إيقاف التنفيذ ومع النفاذ.

ولكن المهم أن مرافعات المحامين كانت تنشر وتنشر غصباً عن الحاكمين فكان الشعب يتلهف على قراءتها و يحفظها عن ظهر قلب.

ونشر فى سنة ١٩٠٩ الشيخ عبد العزيز جاويش مقالاً فى اللواء بمناسبة ذكرى حادث دنشواى عدتها النيابة قذفاً فى حق بطرس باشا غالى رئيس الحكومة والذى كان رئيساً وفتحى زغلول باشا أحد أعضائها.

وترافع عنه الأساتذه أحمد بك لطفى وإسماعيل بك شيمى ومحمود بك بسيونى وأبدعوا وأجادوا إذ وجهوا كل همهم إلى المحتل والحاكمين باسمه وقضى بتغريم المتهم ٤٠ جنيهاً ثم استأنفت النيابة وكانت المحكمة الإستئنافية برئاسة بوغوص أغديان بك – فقضت بتعديل الحكم إلى الحبس ثلاثة أشهر مع النفاذ وسخط الناس على الحكم ولكن مرافعات المحامين التى كانت تنتشر على الناس وتتناقلها الألسن كانت تشعل النيران حماسة وسخطاً فى نفوسهم.

قانون النفى الفردى:-

ولعل من أثر دفاع المحامين عن المتهمين ونفاذ هذا الصوت إلى آذان وقلوب الجماهير والقضاء أن سنت الحكومة قانون النفى الإدارى وبمقتضاه أصبح للإدارة أن تنفى أى شخص تعتبره خطراً على الأمن العام إلى جهة نائية كالواحات دون محاكمة ومحامين.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

الفصل السابع

القضايا الصحفية أمام محاكم الجنايات

ولعله أيضاً من أثر دفاع المحامين إبتدائياً وإستئنافياً عن المتهمين فى قضايا الرأى أن أصدرت الحكومة قانوناً يجعل القضايا الصحفية من إختصاص محاكم الجنايات.

قضية مقتل بطرس باشا غالى:-

قتل إبراهيم الوردانى بطرس باشا على أثر الإتفاق على مد إمتياز شركة قناة السويس وكان قد عرض على الجمعية العمومية وكان الرأى العام قد هاجم تفريط الحكومة فى أمر قناة السويس.

وكانت أول حادثة قتل سياسى فى تاريخ مصر الحديث وكانت الرصاصة التى أنطلقت – وإن كنا لا نقر الإغتيال السياسى – إنما تعبر عن ثورة مكتومة فى صدور المصريين.

وقدم الوردانى ومعه ثمانية من الطلاب والمحامين إلى قاضى الإحالة بتهمة القتل للأول والإتفاق الجنائى للآخرين.

وتولى الدفاع عنهم الأساتذة أحمد لطفى ومحمود أبو النصر وعبد العزيز فهمى وإبراهيم الهلباوى وعمر لطفى وإسماعيل شيمى ومحمود حسين ومحمد على علوبة ومحمود بسونى وأحمد عبد اللطيف ومصطفى عزت.

فأصدر قاضى الإحالة (محمود غنيم) الحكم الخالد بألا وجه لإقامة الدعوى على ثمانية لعدم وجود نص يعاقب على الإتفاق الجنائى.

وحوكم الوردانى وترافع عنه الأساتذة أحمد لطفى وإبراهيم الصاوى ومحمود أبو النصر.

وكانت مرافاعاتهم آيات من الوطنية ، ومن الأدب القضائى السامى ونماذج تبقى على مر الأيام.

وكانت هذه المرافعات تمثل شجاعة المحامين أمام ثورة الحاكمين والمحتلين وهياج الرأى العام القبطى فى مصر وفى الخارج.

قضية وطنيتى:-

أخرج الشيخ على الغياتى ديوان شعر بإسم (وطنيتى) وكتب مقدمة له كل من محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز جاويش فأقيمت على الثلاثة الدعوى العمومية بتهمة تحبيذ الجرائم والتحريض على إرتكابها وإهانة هيئات الحكومة ولم يكن المؤلف حاضراً ولا محمد بك فريد فترافع عن الشيخ جاويش الحاضر أحمد بك لطفى ومحمد على علوبة بك (باشا) وكانت مرافعتهما رائعة مثيرة وآية من آيات الوطنية وقضى فى الدعوى غيابياً بالنسبة للشيخ الغاياتى بالحبس سنة واما الشيخ جاويش فقد حكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر مع النفاذ ونفذت العقوبة فوراً.

قضية الدستور فى طنطا:-

أصطف الطلبة فى يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ على إفريز محطة طنطا للإحتفال بمرور الخديو عباس ، وقد ساقهم الحاكمون كالعادة ، ولكن الخديو ورجال حكومته فوجئوا بهتافات الطلبة "تحيى مصر" "يحيى الدستور" وأنزعج مدير الغربية (محمد محب باشا) فطرد الطلبة وقبض على بعضهم.

واتهمت الإدارة الأستاذين مصطفى بك الشوربجى ومحمد نبيه سلام بك بتحريض الطلبة وفى يوم المحكمة إزدحمت طنطا بالجماهير وفدت عليها لتسمع مرافعة المحامين الذين ترافعوا عن المتهمين وهم أحمد لطفى وإسماعيل شيمى بك والشيخ حسن عبد القادر وأحمد وجدى وعلى كمال حبيشه وعبد الفتاح رجائى وكانت مرافعات حماسية غذت لهب الوطنية.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

محاكمة محمد بك فريد :-

فى سنة ١٩١٢ خطب محمد بك فريد فى الجمعية العمومية السنوية للحزب الوطنى وحمل على الحكومة حملة شعواء وطالب بإنشاء الجامعة المصرية وإصدار الدستور كما طالب الشعب بالكفاح وهاجم المعتمد البريطانى.

وقدم للمحاكمة بتهمة التحريض على كراهية الحكومة وإهانتها وإزدرائها.

إستقالة سعد زغلول:-

وبهذه المناسبة نذكر أن سعد زغلول وقد كان وزيرا للحقانية إستقال إحتجاجا على الإجراءات التى أتخذت مع محمد بك فريد.

وترافع المحامون عبد العزيز فهمى باشا ومحمود أبو النصر وأحمد لطفى وأحمد عبد اللطيف ومحمود فهمى حسين.

وكانت مرافاعاتهم كلها تدور حول إباحة النقد وإظهار أن كل ما ذكره محمد بك فريد فى خطبته ونشرته جريدة اللواء هو آمال الأمة وهو فيض الإحساس الذى يحس به كل مصرى وقضى فى القضية بالحبس.

قضية واكد وطاهر العربى وعبد السلام البرعى:-

أتهمت النيابة العمومية إمام واكد ومحمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام البرعى بالإتفاق على إغتيال الخديو ومحمد سعيد باشا رئيس الوزراء واللورد كتشنر ومحمد مجدى باشا رئيس محكمة الجنايات ومستر ولبروجلى رئيس محكمة الجنايات.

وقد كان مدبر المؤامرة وناسج بردها هو جورج فليبدس مأمور ضبط محافظة مصر – وقد قضى بسجنه فيما بعد فى تهم رشوة وإبتزاز أموال المعتقلين خمس سنوات – وتلاقى فى السجن مع ضحاياه وأعترف بتلفيق التهمة – وقد ترافع عن المتهمين إبراهيم الهلباوى ومصطفى الشوربجى وعبد الوهاب البرعى وكانت مرافاعاتهم فاضحة لأساليب فليبدس والأستعمار.

قيام الحرب وإعلان الأحكام العرفية:-

أعقب ذلك خروج الخديو وإعلان حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ وإعلان الأحكام العرفية ونزل السواد على البلاد فمن ظلم لطغيان لنفى وإغتصاب للأقوات والأرزاق إلى الإستيلاء على الدواب والمواشى ومرت على البلاد فترة حالكة الظلام قسا فيها

المحتل وأعوانه على الشعب قسوة كان من نتائجها المباركة - ككل ظلم - أن تهيأت النفوس للثورة وأحست السلطة العسكرية بما كان يجيش فى نفوس المصريين فاعتقلت عددا من المحامين من أعضاء الحزب الوطنى وهم محمد زكى (باشا) وعبد الرحمن الرافعى بك ومطفى الشوربجى بك وأحمد وفيق وعبد المقصود متولى.

ثورة سنة ١٩١٩ :-

ما أن اعلنت الهدنة سنة ١٩١٨ وأذاع الرئيس ولسن مبادئ حق تقرير المصير حتى قامت فى البلاد ثورة بدأت بالمطالبة السلمية بالإستقلال وأنتهت بثورة دامية إذ تنفس المصريون أنفاساً كانت شعاليل الثورة - ثورة الشعب المكبوت , المظلوم الذى ظل يرسف فى أغلال الذل والعبودية قرابة أربعين عاما وهو يتألم ويتأوه ويثور ثم يُضرب فيصمت حتى كانت الحرب العالمية الأولى فظلت المطارق تضرب فى عظامه محماه ملتهبة حتى أضوت جسده ولكنها أيقظت روحه وأشعلت نفسه وألهبت قلبه فهب من رقدة ذله ماردا عملاقا يحارب بيديه جيشا مظفرا كامل العدة نشوان من خمر الإنتصار يسانده سلطان نصبته على البلاد سلطة الإحتلال فهو مكروه بغيض تنفذ أغراضها الدنيئة قوات الحكومة ورؤساء هذه القوات من الإنجليز.

ومع ذلك فقد حارب الشعب الثائر وهو أعزل.

هزت بسالتة شعوب الشرق فقامت من رقدتها وصحت من غفوتها وأحتذت مثاله وحاربت من أجل الحرية.

وكان على رأس الثورة المصرية المحامون:-

لقد قصد المعتمد البريطانى ثلاثة من رجالات مصر يمثلون آمالها ويتكلمون

باسمها هم :- سعد زغلول المحامى وعبد العزيز فهمى المحامى وعلى شعروای.. وكان من وراء هذه الحركة الرسمية حركات تهيأة وإعداد ظلت زمنا , أثناء الحرب وما بعد إنتهائها , وكان قوامها المحامون فى نادى المدارس العليا , وفى المنتديات والأسمار , بل وفى المقاهى.

فقد عرفت من مصادر ثقة أن ماهر والنقراشى وشفيق منصور وحسن الشيشينى وعبد الحليم البيلى وغيرهم كانوا يجتمعون فى قهوة أسبلنديد بميدان الأوبرا وكانوا يعدون للثورة وفى الأرياف كان يجتمع المحامون والمدرسون والأعيان النابهون المثقفون يهيئون للثورة ويمهدون لقيامها ، فلما هزأ المعتمد البريطانى بمطالب المصريين ممثلة فيما طلبه الثلاثة الأقطاب الخالدون – يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ – وأنكر على مصر حقها تألف الوفد المصرى وسرعان ما وقع أفراد الشعب وجميع طبقاته العرائض بالتوكيلات له ليكون متحدثا رسمياً عن البلاد.

وهذه الفكرة فكرة توقيع توكيلات من جميع المصريين فكرة المحامين ونفذها المحامون فى مصر بأسرها من أسوان إلى الأسكندرية.

وقبض على سعد زغلول وأحمد الباسل ومحمد محمود وإسماعيل صدقى من أعضاء الوفد ونفوا إلى مالطة فقامت البلاد بقلب واحد وعقل واحد وأمل واحد هو أن تحيا عزيزة حرة كريمة أو تموت حرة كريمة.

قامت المظاهرات , وحطم الثائرون كل شئ : محطات السكك الحديدية والترام والفوانيس ودور الحكومة.

حطموا كل ماتقع عليه أيديهم إعلانا – بغير شعور – عن سخط مكتوم وثورة تضطرم وقتل من المتظاهرين قوم كثيرون فقد كانوا عزلا وكان خصومهم مسلحين.

وقاد المحامون الثورة فى كل بقعة من بقاع مصر الثائرة.

وأخيرا رضخ المحتلون أمام قوة الثورة العزلاء , وأفرج عن سعد زغلول ورفاقه وتكون الوفد المصرى للسفر إلى باريس للأتصال بمؤتمر السلام الذى كان منعقدا آنئذ لوضع معاهدة الصلح والسلام , وكان من المحامين فيه أغلبية هم :-

١. سعد زغلول

٢. إسماعيل صدقى (طالب حقوقى وإ لم يشتغل بالمحاماة)

٣. عبد العزيز فهمى وكان نقيب المحامين سنة ١٩١٨ وسنة ١٩١٩

٤. أحمد لطفى "محام"

٥. محمد على علوبة "محام"

٦. مصطفى النحاس "محام"

٧. حسين واصف (كان حقوقيا)

٨. ويصا واصف

٩. محمود أبو النصر

١٠. عزيز منسى

إضراب المحامين:-

عقب القبض على سعد زغلول ورفاقه ونفيهم إلى مالطة الذى ذكرناه سالفاً أعلن المحامون الإضراب وطلبوا نقل أسمائهم إلى جدول غير المشتغلين . وظلوا مضربين . وكان إضرابهم يشعل نيران الثورة لأن أعمالهم متصلة بالجمهور وتعطلت المحاكم وكاد المحتلون أن يجنوا إلى أن عادوا فى إبريل سنة ١٩١٩ ليقوموا بأعمال هى أنبل الأعمال الإنسانية.

فلقد قبض على كثيرين وقدموا للمحاكمات وكانت المحكام العسكرية عندئذ مجازر لا تعرف رحمة ولا عدلاً ولا قانوناً.

ولم يقف فى وجه هذه المحاكم إلا المحامون المصريون.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

وقفوا فى قضية ديرمواس التى حكم فيها بإعدام ٥١ شخصا منهم المثقفون والمتعلمون – نفذ الإعدام فى ١٤ منهم وخفف بالنسبة للباقين بالأشغال الشاقة وبالسجن مددا متفاوته على أكثر من أربعين شخصا

وفي قضية مامور بندر أسيوط (المرحوم محمد كامل محمد) الذى حكم بإعدامه

وفى قضية الواسطى وفى قضية شلش (مركز ديروط) ، وفي صنبو – وقد هجم فيها المتظاهرون على باخرة نيلية تقل جنودا من الأنجليز إلى أسيوط.

وفى قضية ملوى – وكان على رأس الذين حوكموا أحمد لطفى رشيد (محافظ الأسكندرية رحمه الله).

وفى قضية المنيا كان على رأس الذين حوكموا الأستاذان رياض الجمل المحامى وأحمد حتاتة المحامى الشرعى وأحمد انيس المدرس بمدرسة أبى قرقاص وكان مدرسى وقد حضرت محاكمته وكان والدى (مصطفى التونى عمدة أتليدم) شاهد نفى فيها فلما أدى شهادته رفعت عليه الدعوى العمومية، ثم برئ وقضية فاقوس ، وقضية رشيد ، وقضية قليوب ، ومئات من القضايا بالقاهرة ، ومئات فى الأسكندرية ، وقضايا أسيوط – وحوكم فيها محمود بسيونى (نقيب المحامين) ، وبنى سويف ،وكوم أمبو.

فى مئات المحاكم العسكرية حضر المحامون آلاف القضايا يترافعون بدمهم وأعصابهم بلا أجر وإنما إحتسابا لوجه الله ووجه الوطن.

وقفوا لا يردون الإتهام فقط إنما يلهبون الشعور ويقوون العزائم ويشحذون الهمم ويهونون من التضحيات فى سبيل البلاد.

وإنا لنذكر منهم:-

محمد أبو شادى ـ محمد يوسف ـ وهيب دوس ـ أحمد رشدى ـ عبد الرحمن الرافعى ـ أحمد لطفى ـ الهلباوى ـ محمود بسيونى ـ غبريال سعد ـ نجيب برادة ـ أحمد الديوانى ـ حافظ رمضان ـ أحمد مصطفى ـ عبد السلام جمعه ـ على نجيب ـ

إسماعيل حمزة ـ عاذر جبران ـ سيد زكى ـ (نابغة محامى المنيا والصعيد) ومحمد حسن ـ محمد نجيب الغرابلى ـ عبد الرحمن الرافعى ـ محمد حامد جودة ـعبد الفتاح الشلقانى ـ عبد الفتاح رجائى ـ يوسف الجندى ـ صبرى أبو علم ـ عبد الفتاح الطويل ـ أحمد مرسى بدر ـ محمد كامل الأسيوطى ـ إبراهيم مختار ـ عبد الله الحديدى ـ على أيوب ـ محمد صادق العوايسى ـ محمد مغازى البرقوقى ـ إبراهيم رياض ـ راغب أسكندر ـ عبد العزيز فهيم ـ محمد عبد الوهاب البرعى ـ عمر عمر ـ محمد نبيه اعجيزى – محمد لطفى جمعه – محمود صبرى – ميخائيل غالى – عبد اللطيف أحمد – عبد المجيد نافع – عباس شريف وغيرهم من كرام المحامين.

قضية عبد الرحمن فهمى:-

يقول الأستاذ الكبير المؤرخ المعاصر عبد الرحمن الرافعى فى كتابة "ثورة سنة ١٩١٩" الجزء الثانى إن حكومة محمد سعيد باشا كانت قد إتفقت مع السلطة العسكرية على إيقاف المحاكمات العسكرية وإحالة القضايا على القضاء العادى المصرى لنظرها وكان إتفاقاً أوحته من ناحية الوطنية المصرية كما أوحته الرغبة فى إيجاد جو من حسن التفاهم.

وكانت أول قضية تعرض بعد نقض هذا الإتفاق هى القضية التى سميت

قضية المؤامرة الكبرى.

وكان المتهم الأول فيها هو عبد الرحمن بك فهمى الذى كان رئيس اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة – وهو عم على ماهر باشا والدكتور أحمد ماهر , وكان من رجال الوطنية المكافحين وكان معه نخبة من الشبان الذين كان لبعضهم أثر فى الحركة الوطنية فى مبدئها وأستمر هذا الأثر والمساهمة الجدية زمناً طويلا بعد ذلك وهم إبراهيم عبد الهادى باشا الذى تولى رئاسة الوزراء فى مصر ومحمد لطفى المسلمى الذى أصبح محامياً ثم توفى فى شرخ شبابه وحامد المليجى الذى أشتغل بالصحافة حيناً طويلا ومحمد يوسف الذى قبع بعد خروجه فى وظيفة متواضعة هو ومحمود عبد السلام – الذى لا يزال موظفاً بجمارك الأسكندرية إلى الآن – وحسنى

الشنتاوى الذى إشتغل بالمحاماة بعد تخرجه بقضايا العمال ثم بالوظائف الهامة فى وزراة الداخلية ثم عاد إلى المحاماة وتوفيق صليب الذى إشتغل أيضا بالصحافة وبالوظائف الهامة وكان دائما مشتركا فى الحياة السياسية فى مصر وكامل جرجس عبد الشهيد الذى دخل سلك القضاء ووصل إلى وظيفة مستشار وهو من خيرة رجال القضاء وكذلك كامل أحمد ثابت المستشار وعبد الحليم عابدين الذى أشتغل بالوظائف العامة ثم عاد للإشتغال بالمحاماة وكان دائما من رجالات مصر الصادقين فى وطنيتهم وفى الخدمة العامة ومحمد عبد الرحمن الجديلى الذى عمل سكريترا لسعد زغلول ثم مصطفى النحاس ثم عين فى وظائف حكومية كبيرة وكان دائما مسايرا للحياة السياسية فى مصر وله فيها أثر وإن كان خفيا إلا أنه عظيم ومؤثر.

والدكتور محمد حلمى الجيار الذى إشتغل بالطب وبالأعمال الحرة كان أكثر من مرة عضوا بمجلس النواب وكان كالعهد به دائما نائبا شجاعا قويا.

ومحمد المصيلحى الذى قنع هو الآخر بوظيفة متواضعة فى مجلس النواب إلى أن أحيل إلى المعاش ومحمد الميرغينى وهو من طلاب الأزهر ثم أشتغل نجارا بالمنيا ثم رشح نفسه فى إنتخابات سنة ١٩٥٠ ولكن الجمهور كان قد نسيه.

أما عبد العزيز حسن الهندى وكان طالبا وصالح حسن شلبى وحافظ محمود عواد وكان مزارعا وعاذر غبريال ومحمد إبراهيم سليمان وأنيس سليمان فلا نعرف عن مصيرهم شيئا ... لهم التحية على عظمتهم فى كفاحهم وتضحياتهم وتواضعهم فيما نالوا من جزاءء.

إتهم هؤلاء بأنهم كونوا مؤامرة للإغتيالات وطبع وتوزيع المنشورات.

وأهتزت البلاد من أجلهم فقد كانوا صفوة شباب مصر وجئ لهم بمحامين من إنجلترا منهم مستر متشل أنس وظهر فى هذه المؤامرة أول خائن مصرى وهو عبد الظاهر السمالوطى وأصطف للدفاع عنهم جمع من محامى مصر.

وبذل هؤلاء المحامون الإنجليز والمصريون مجهودا جبارا خلال المحاكمة التى أستغرقت ثلاثة أشهر.

وقضى بعدها ببراءة ثلاثة وإعدام سبعة وأستبدل الإعدام بالأشغال الشاقة المؤقتة.

سجل إعجابك بصفحة افوكاتوك ليصلك كل جديد

وبعقوبات مختلفة تتراوح بين ٢٠ سنة وثلاث سنوات مع الغرامة على كل منهم.

وتتبع الناس فى مصر هذه القضية بإحساسهم ووجدانهم وكان يباع من جرائد النظام والأفكار والأخبار مئات الألوف يومياً.

إحتجاج نقابة المحامين:-

وقعت إبان الثورة جوادث كثيرة وكان المحامون سباقين للحضور مع المتهمين فيها وفى أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١٩ منع المحامون من الحضور مع المتهمين فى التحقيقات فأصدرت نقابة المحامين إحتجاجاً شديد اللهجة على ذلك فى يوم ٣ نوفمبر ١٩١٩ وكان نقيبها عبد العزيز فهمى باشا.

لجنة ملنر:-

وعقد المحامون الجمعية العمومية فى يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ على أثر علمهم بحضور لجنة ملنر التى تألفت للتحقيق فى حوادث مصر ولمحاولة التفاهم وقاطعها المصريون جميعاً مقاطعة تامة وكانت وستظل المثل الأعلى لأحتجاج أمة متعاونة متحدة متكافئة – عزلاء – ضد المحتل القوى المسلح الظافر.

وقررت الجمعية العمومية للمحامين الإحتجاج على حضور لجنة ملنر ودعت إلى مقاطعتها.

فلما حضرت اللجنة قرر المحامون الإضراب أسبوعاً إحتجاجاً على حضورها يبدأ يوم ١٧ ديسمبر – وهو ذكرى الإحتلال المشؤوم – وإنتخبت فى هذا الإجتماع مرقس حنا نقيباً للمحامين ومحمد أبو شادى وكيلا.

هنرجع هيبتنا (للمحامين فقط) محمد عماد المحامى

مجموعة مغلقة · ٣،٧٥٩ عضوًا

عرض المنشور المثبت

اكتب شيئًا...

إسلام إسماعيل

أمس الساعة ١٠:٥٧ م

بعد التحيه
بعد اذن الاساتذه كنت عاوز كتاب المحاماة فن رفيع للدكتور محمد شوكت التوني pdf
و لكم جزيل الشكر